



معركة الوجود

بين القرآن والتلمود

دكتور
عبد الستار فتح المعيد



3
عبد الستار فتح المعيد

\$ 5-00

معركة الوجود بين القرآن والتلمود

دراسة علمية قرآنية :

تكشف أسراراً جديدة من إعجاز القرآن العظيم
وتبرز دوره المتفرد في المعركة العالمية بين
الإسلام واليهودية !!

الدكتور / عبد الستار فتح الله سعيد

الطبعة الرابعة

مزيدة ومنقحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا

المائدة : ٨٢

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ
زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ

الأنبياء : ١٨

إهداء

إلى :	إلى :
« الأمة المؤمنة .. »	« حاكم مسلم »
القادمة بإذن الله على الطريق	يؤمن من أعماقه :
رافعة لواء القرآن	بالله رباً . . .
لتقيم شريعة الله	وبالإسلام ديناً . . .
« أدلة على المؤمنين »	وبالجنة أو النار مصيراً
« أعزة على الكافرين »	يحتضن الطلائع المؤمنة
« يجاهدون في سبيل الله .. »	ليقوم في الأرض حكم الله
شعارها التهليل ..	وينبرى في اللحظات الفاصلة
وهتافها التكبير ..	يجاهد بهم في سبيل الله
ونشيدها الأثير :	ويرفعون في وجه المؤامرة :
يا خيل الله اركبى	راية القرآن !
ويا رياح الجنة هبى !	وكلمات الله !

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله
وأصحابه ومن والاه :

« أما بعد »

فهذه هي طبعة الكتاب الثالثة تخرج على الناس بحقائقها
الدامغة التي تزيدها الأيام تأكيداً وتوثيقاً ، لا لبراعة خاصة في
تحليل الأحداث ، واستقراء الوقائع ، واستخلاص النتائج ، وإنما
لأنها تستمد حقائقها من القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه .

هل نذكر المسلمين بما حدث بعد الطبعة الثانية بأيام قليلة من
غزو وحشى للبنان؟ ومن استخدام لجميع الأسلحة المحرمة دولياً في
ضرب العزل من المدنيين ؟ !

ثم ما حدث بعد أشهر معدودات من مذابح مروعة في مخيمى
« صبرا ، وشاتيلا » ، تلك المذابح التى دبرها اليهود ، ونفذها
شركاؤهم من عميان المارون ، ثم وقف طاغية اليهود ليقول فى
لجاجة يهودية معلومة : « غير يهود ذبحوا غير يهود » !!

إننا نعود إلى تذكير أمتنا — بلا ملل — أن الطرق كلها
مسدودة أمامها إلا طريقاً واحداً هو طريق الإسلام !

وإن الرايات كلها منكسة فوقها إلا راية القرآن العظيم !
فلتكف أمتنا عن التجارب المرهقة .
وليمض زعمائها وحكامها إلى الطريق الصحيح تحت راية
القرآن المجيد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

القاهرة فى
غرة رمضان ١٤٠٥ .
٢١ / ٥ / ١٩٨٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله
وأصحابه ومن والاه واتبع هداه .

« أما بعد » :

فقد صدر هذا الكتاب بين أحداث عاصفة ، دفعتني إلى
المسارعة في إخراجه نصيحة للأمة ، وإبراء للذمة ، وإقامة للحجة ،
ووفاء بحق القرآن العظيم الذي بلغ الغاية في التحذير من اليهود ، ومع
ذلك اتخذهم قومه مهجوراً ، ونبذوه وراء ظهورهم كأنهم
لا يعلمون . . . !

وتأتى هذه الطبعة الثانية — بعد حولين كاملين — والأحداث
تزداد عصفاً وعنفاً ، وتتواكب محققة ومصدقة لكل كلمة قالها القرآن
عن اليهود ، وأنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا .

ولقد امتد لؤمهم وغدرهم — بعد المعاهدة ! — إلى أبعاد بالغة
السوء مثل :

● ضم القدس إليهم وإعلانها « عاصمة أبدية » لدولتهم
الباغية ، وكأنهم يملكون الأبد ، أو القضاء والقدر ، وهذا ضرب
مكرور من تطاولهم على الله تعالى !!

● تدمير المفاعل الذرى العراقى ، والتخطيط لتدمير المفاعل
الباكستانى . . !!

● الغارات الوحشية على لبنان ، ومخيمات اللاجئين
الفلسطينيين . . !!

● ضم الجولان ، والعمل الدائب لتهويد الأرض المحتلة ،
وزرعها بالمستوطنات المسلحة . !

● ثم أخيراً — وليس آخرأ — قتل المصلين فى المسجد
الأقصى ، استكمالاً لسعى اليهود فى خرابه ، وإقامة « الهيكل » على
أنقاضه . !

ومن أعجب العجب أن تنطلق الأبواق فى هذه الأيام ، لتخلط
الحقائق بالأوهام ، وتظهر اليهود — بمناسبة الجلاء عن سيناء —
وكانهم قد وفوا بالعهد ، أو جنحوا للسلم ، متناسية الفواجع
السابقة ، ومتجاهلة الثمن الباهظ الذى تقاضاه المرابون العتاة !!

وإننا بهذه المناسبة — ذاتها — لترفع الصوت عالياً لنؤكد من
جديد ، بأن اليهود هم اليهود ، ولا يزالون أبدا أئمة الإلحاد والإفساد ،

وأقطاب الخيانة والغدر ، والعهد عندهم — كما قلنا في هذا الكتاب — « ضرورة مرحلية يعقد لأجلها ، ثم ينقض بانتهاء ظروفها ومنفعتها » (١) .

وآية ذلك أنهم شرطوا بقاء سيناء عارية مكشوفة من السلاح ! وأودعوها رهينة احتلال دولى متعدد الجنسيات . !

وبذلك عزلوا أكبر قوة عربية خلف هذا الستار غرباً ، لينفردوا بما وراءه شرقاً ! وبذلك يمضى التخطيط الحقود لتنفيذ أخطر المراحل في « إسرائيل الكبرى » ، تحت أعلام المعاهدة ، وأوهام السلام ، وأغاني الجلاء ! !

* * *

وإزاء هذا الهوان العاصف لم يبق لأمتنا — وخاصة الزعماء — إلا الإصغاء فى أدب بالغ إلى القرآن العظيم وهو يحدثهم عن طريق الخلاص ، ويرسم لهم سبيل العزة والنجاة ، ويطالبهم بالإسلام المطلق لله رب العالمين !

وهذا قدرنا وطريقنا المتفرد !
وعلى الجميع أن يعوا هذه الحقيقة البديهية الهائلة !
وإلا فالبديل هو ما علموا وذاقوا من استعلاء القردة والخنازير !

(١) انظر فقرة (٥١) من هذا الكتاب .

﴿ قُلْ أَتَزَلُّهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ
غَفُوراً رَحِيماً ﴾ « سورة الفرقان : ٦ » .

وبهذا « السر » المحيط ، كان القرآن هو « المعجزة الكبرى » من
كل نواحيه ، في لفظه ونظمه ، وشرعته ومنهاجه ، وبما قرر من
الحقائق والأخبار ، أو كشف من الدخائل والأسرار . . . ! !

وبذلك غدا القرآن العظيم كما وصفه ربه :

« روحاً » : يحيى رميم الأمم والهمم . . . !

و « نوراً » يهدي الحيارى إلى أقوم السبل !

و « هدى للناس » : في دينهم ودنياهم ، ومعاشهم ومعادهم .
وسلمهم وحربهم ، ومعارك حياتهم القريبة منها والبعيدة على
سواء ! !

وسرى مصداق هذا كله — إن شاء الله — في هذه « الدراسة
القرآنية » عن معركة وجودنا ومصيرنا ، والتي تدور رحاها الهائلة
اليوم ، بيننا وبين « المفسدين في الأرض » من يهود « التلمود »
الحقود ! !

وهي — كما رأينا وعلمنا — معركة ضارية ، لمن يخمد لها أوار ،
حتى تنتهى إلى قرار ! !

لأنها في حقيقتها وأصلها :

صراع بين الحق والباطل . . . !

وتنازع بقاء ووجود بين « القرآن » و « التلمود » . . . !

وهما خصمان اختصموا في ربهم ، لا يلتقيان أبداً ،
ولا يتفقان !!

إن هذه « الدراسة القرآنية » تهدف إلى رد « القضية والمعركة »
إلى أصلهما الأصيل ، ومسارهما الصحيح ، في فهم « النفسية
اليهودية » وكيفية التعامل معها تعاملًا حاسماً على أساس ديني
قرآني !!

ولينبته القارئ المسلم جيداً :

فإنه أمام خط مغاير تماماً للدراسات ، والأسماء ، والألقاب التي
أغرقت بها هذه القضية ، والمعركة الناشئة حولها !!

فلسنا أمام « تقرير سياسي » يتلون بالمنافع والأهواء !

ولسنا كذلك أمام « بحث اجتماعي » ، أو « تحليل نفسي » مما
يقوم به بشر قد تخطى أدواته ، أو تتخبط استنتاجاته وإحصاءاته !!

وبالإجمال :

لسنا بإزاء « حكم » مما يمكن أن تشوبه الشبهات أو الشهوات ،
وإنما نحن أمام « حقائق اليقين » من رب العالمين !!

وهو جل شأنه العليم الخبير ، لا يظلم ولا يحايى ، لأننا جميعاً
عبيده ، أو ﴿ . . . بِشَرِّ مِمَّنْ خَلَقَ . . . ﴾ (١) ، كما قال تعالى رداً على
اليهود والنصارى في دعواهم أنهم : « أبناء الله وأحباؤه » !!

(١) سورة المائدة : ١٨ .

ثم لقد تلقينا هذه « الحقائق » من أوثق طريق معصوم :

﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١)

ومن هنا :

كان لزاماً أن نستقبل « كلمات القرآن العظيم » بغاية الإجلال ، وأن نطلقها بماهى جديرة به من تدبر وانتباه ، فإن تحت كل كلمة معنى ربانياً جليلاً ، وبياناً إلهياً خطيراً .

وهذا ما أرجوه ، وأدعو إليه القارئ المؤمن بإلحاح ، لأن « كلمات القرآن » هى لحمه هذه الدراسة القرآنية وسداها ، وكل ما جئنا به حولها فإنما هو وسيلة لخدمة أغراضها الجليلة !!

وأسجل ابتداءً أنى لم أقصد إلى تقديم دراسة تخصصية فنية مجردة ، وإنما هى دراسة مشربة بروح القرآن العظيم ، و مترسمة آثار منهاجه الفذ فى مخاطبة وجدان المسلم وعقله ، وحسه وعصبه ، وجسده وفكره ، وسمعه وبصره . . خاصة وهو فى معركة حياته ، التى يتقرر بها وجوده أو عدمه ، وانتصاره أو اندثاره . . !!

إن القافلة حين تقف حائرة على مفترق الطرق تعلم أن مصيرها فى خطوها ، وأن نجاتها رهن بصحة اختيارها ، لذلك تبذل غاية جهدها فى التحرى والنظر ، لتضع أقدامها على الطريق الصحيح ، الذى يفضى بها إلى غايتها مهما طال السفر ، لأن البديل مظلم

(١) سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥ .

العواقب ، فادح النتائج . . . !!

وأمتنا اليوم في هذا الاختيار المر ، رغم وضوح الطريق !!
و « إن الرائد لا يكذب أهله » !!
ولا بديل لأمتنا قط عن هدى القرآن ، وطريقه ، في هذا
المعترك الضنك :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١).

ومن هذه للزاوية — في صراع الحق والباطل — كتبت هذه
« الدراسة القرآنية » سائلاً المولى جل شأنه أن يتقبلها جزءاً من
« جهاد العلم والقلم » في هذه المعركة الشاملة ، وراجياً أن يبلغ بها
— سبحانه وتعالى — غايتها المأمولة من تبصير أمتنا « بالمعرفة
الوحيدة » ، الصادقة الأمانة عن معركة حياتهم ووجودهم ، مع
أعدى عدوهم من « يهود التلمود الحقود » ، والتي لا نجاة لنا فيها
إلا بنور الله عز وجل :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ
اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة المائدة) ١٦٤

على أنه من يقين الأمر وبداهة الاعتقاد التسليم بعظمة هذا
القرآن ، وأنه أجل وأكبر من أن يحاط بأسراره علماً ، ولا علم لنا

(١) سورة الأنعام : ١٥٣ .

منه إلا ما علمنا ربنا شأنه بخبر الصادق المعصوم ، أو بتوفيق الأفهام
إلى الصواب ، لتعقل المعاني ، وتفقه الخطاب ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴾ (١) .

وكل حق أو صواب أدركته في هذا الباب فهو من فضل الله
العظيم ، وتوفيقه الكريم ، وله على ذلك الحمد كما ينبغي للجلال
وجبه ، وعظيم سلطانه .

وإن يكن خطأ فمئى ، وأستغفر منه ربى ، وأسأله جل شأنه
— فى الحالين — المغفرة والقبول ، فضلاً منه ونعمة وإحساناً !

رب اغفر لى ولوالدى ، وللمؤمنين والمؤمنات ، ولمن قرأ هذا
الكتاب فوعاه ، وأدى إلى المسلمین معناه ، وسلك بنفسه فى حزب
الله ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

وجزى الله تعالى بالخير كل مسلم قرأ هذا فدعا لى بظهر الغيب
دعوة خير ، أو كتب لى فى تصويب أمر ، فإن الحق قديم . . ، وإن
هذا العلم دين ، والدين النصيحة !

والله تعالى من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصل اللهم على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

كتبه الفقير إلى عفو مولاه
عبد الستار فصح الله سعيد
غرة رجب ١٤٠٠ هـ
الرياض فى ١٥ / ٥ / ١٩٨٠

(٢) سورة المجادلة : ٢٢ .

(١) سورة آل عمران : ٧ .

تهديد

١ — نقطة البدء :

لم يسجل التاريخ قضية من قبل تجمعت فيها الأحقاد العالمية ،
والتناقضات الدولية ، مثلما سجل في قضية « فلسطين » !!

فالإلحاد تآزر فيها مع الصليبية ، والشيعوية اتفقت فيها مع
الرأسمالية ، حتى الكنيسة تفاهمت فيها مع اليهودية ، فتألف منها جميعاً
حلقات من البغى العلنى ، أو الكيد الخفى ، واستحكمت حول هذه
القضية الإسلامية !!

ولا يخفى علينا أصابع شياطين اليهود وراء هذا « التجميع »
الغريب . ولكن هناك « عقدة مشتركة » يسرت عليهم تسخير هذه
القوى المتناقضة ، وهى « علتهم » فى بغض الإسلام والمسلمين
« وكل يعمل على شاكلته » !!

إذن فالكفار جميعاً قد نظروا إلى هذه القضية من زاويتها
الصحيحة ، وتعاملوا معنا على أساسها الدينى الإسلامى ، بصرف
النظر عن المواقف السياسية المعلنة خداعاً وتضليلاً فى معظم
الأحيان !!

٢ - خطأ أو خطيئة :

وفي مقابل هذا لم يسجل التاريخ خطأ — بل خطيئة — أبشع من انخداع المسلمين بخطة الكفار في دحرجة قضية « فلسطين » عن إطارها الإسلامى إلى دوائر ومناهات : الوطنية ، والقومية ، والمذهبية ، وغيرها من دعاوى الجاهلية ، وبذلك فصلت القضية وبترت عن قوتها المؤثرة الحاسمة ، وتاهت في ضباب كثيف ساقها إلى النكسات ، ثم المساومات ، ثم انتهى بها إلى الخور عن مواصلة الطريق ، ثم استجداء الصلح الدليل !!

٣ - الخطر الإسلامى فى التاريخ المعاصر :

ولقد كان أعداؤنا على وعى كامل بحقيقة الخطر الإسلامى منذ البداية ، وقد علموا ذلك حين لم يستطيعوا التقدم شبراً واحداً فى ظل الخلافة الإسلامية — رغم ضعفها وحصارها يومئذ — لأن القضية كانت فى وضعها الصحيح : « دينية ، إسلامية » (١) .

ولقد أدرك أعداؤنا هذه الحقيقة عملاً يوم ثار عليهم الشعب الفلسطينى باسم الدين والإسلام ، مرات ومرات فى ظروف بالغة

(١) وقف السلطان عبد الحميد موقفاً صلباً أمام الأطماع اليهودية ، ورفض أطماع الذهب التى عرضها اليهود ثناً لفلسطين ، فتآمروا عليه بواسطة « ملاحدة الأتراك » !! (راجع فى ذلك كتاب : أسرار الانقلاب العثمانى ص ٢٥ ، ٢٦ ، وكتاب : مذكرات السلطان عبد الحميد ص ١٠ - ١٢ ، ٦٥ ، وكتاب : حكومة العالم الخفية ص ٤٥ ، والمقدمة الرائعة التى كتبها الأستاذ أحمد عزموش ص ٢٠ وما بعدها . . .) .

الصعوبة والخرج^(١) .

ولذلك بذل أعداؤنا جهداً هائلاً لإفساد « روح الدين » في هذا الشعب ، وسجبه إلى متهات « المنظمات » المتكاثرة ، التي تترنح به بين « اليسار الملحد » أو « الضياع » المغلف بخداع الشعارات الزائفة ، والألفاظ الفارغة مثل : « العلمانية ! » ، و « القومية ! » و « التقدمية ! » . . . إلخ .

ثم تأكدت لهم هذه الحقيقة البالغة في معارك ١٩٤٨ وما بعدها حين خرجت طلائع مؤمنة من بلاد شتى — باسم الإسلام — تتحرق شوقاً إلى الجهاد والاستشهاد ، وتقاتل في سبيل الله تعالى ، دفاعاً عن أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى النبي ﷺ !!
ويومئذ علم أعداؤنا واقعاً ما توقعوه سماعاً ، ورأوا الإسلام على حقيقته قوة ربانية لا تغلب ، وروحاً من أمر الله عز وجل لا يقارع ولا يضارع !!

٤ — الكيد العظيم :

وكان في هذا العمل الإسلامي الخطر الداهم على كيد القرون ، وتخطيط الأجيال. الحاقدة من أعداء الله ، ولهذا جعلوا أكبر مهمم مطاردة هذا التيار الإسلامي بكل سبيل ، وفي مقدمة ذلك : الأنظمة

(١) قاد العلماء هذه الثورات الجهادية أمثال مفتي فلسطين (أمين الحسيني رحمه الله) والشيخ عز الدين القسام وغيرهما (راجع كتاب جهاد شعب فلسطين ص ١٧٦ ، ١٧٧ . . إلخ) .

الحزبية الجاهلة ، أو الدمى العسكرية التى بيت أمرها بليل ، ومهرجت لها شعارات الخديعة ، ثم انطلقت — فى وحشية ضارية — تبيد طلائع الحركة الإسلامية المنظمة ، وتحصد نباتها ، وتخلع جذوره ، وتحرق أرضه حتى لا يعاود الحياة ، ثم — فى نفس الوقت — تبذر مكان هذه الطلائع بذراً خبيث النفس ، والفكر ، والسلوك ، بلا عقيدة ولا قيم صالحة ، فجاءت أجيال وأجيال غشاء كغشاء السيل ، ساقطة الاعتبار إذا قيست بمقاييس الدنيا الجادة ، ناهيك عن مقاييس الدين فى جلالها وسموها ، ومن ثم كان حجم الهزيمة هائلاً رهيباً ، مخزياً فاضحاً يصدق عليه نذير القرآن العاصف ، ومقارنته القارعة :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

٥ — أوضاع مقلوبة :

وفى نفس الوقت كان اليهود الأذلاء المشتتون يقيمون من بقايا شعبهم أمة ، ومن أنقاض تاريخهم دولة !

(١) سورة التوبة : ١٠٩ ومعنى « شفا جرف هار » أى أسس بنيانه على « جرف يترلم بين بالحجارة فهو هش متهدم » ، لا يصلح أساساً لبناء ، لذلك انهار البنيان بصاحبه إلى الهاوية !!

وصلى الله العظيم ، فإن هذه حقائق الكون فى كلمات ، وقد رأينا ذلك فى واقع

الحياة !

وعلى أصداء دينهم الذى حرفوه ، وكتابهم الذى بدلوه ، وعلى
أحلام « التلمود » الحقود الذى اخترعوه أصبح لهم كيان
وسلطان !!

أما نحن :
أمة الحق ، وأصحاب الدين القيم ، والكتاب المحفوظ فنفر من
ديننا ونطارده كما يطارد الوباء ، ونستبدل به الأباطيل والأهواء !!
فكان من البدهى أن يمتد الطغيان الكفور فوق أرضنا ، وعلى
أنقاضنا !!

وكثير من الناس يأخذ منه التعجب كل مأخذ ، ويتساءل فى
دهشة : كيف ينتصرون علينا ؟ !
وما فى ذلك عجب ولا خفاء !

أليست هذه نواميس الله تعالى فى الكون والحياة ؟ وسننه
الصارمة فى الأرض ؟ !

ومن شاء فليقارن بين حاله وحالهم ، ومظهره ومظهرهم !!
هذا اليهودى المولود فى فجاج الأرض المتباعدة شرقاً وغرباً
يتأجج فى صدره شوق إلى أرض ما رآها ، وإلى جمع أمته بعد طول
شتات ، فيأتى على حرارة هذا الشوق يقطع الفيافي والقفار والبحار ،
ليزرع نفسه — فى أعماق أمة غافلة — بالحيلة ، أو بالقوة !!

اليهودى الذى أشربه « التلمود » كل أحقاد الوجود ، لا ينجل
من الانتساب لدينه البالى ، ويتباهى بتاريخه المشين ، ويلتزم هذا وذاك

حتى في الأسماء فيسمى دولته باسم « إسرائيل » ، ويطلق على خطته الحرية اسم « خير » ، ويقبل التراب على أرض « التيه » ، « والهيكل » ، وترنو أبصار قادته ليوم الثأر لمصارع أسلافهم الغادرين من « قريظة وخير » !!

٦ - صراع عقيدة ودين :

ولو كان الصراع أو الثأر أمراً عابراً لكان أمره !!
ولكنه حرب عقيدة ، وصراع دين ، وثأر أحقاد قديمة ، وقضية استرداد واستيطان ، واستعلاء وسحق لأهل الديار !!

ثم هي أحلام مجنونة ينفخ فيها « أحبار السوء » بوضايا الزيف من التوراة المحرفة ، والتلمود الحقود ، فتصبح حقائق واقعة بغفلة الأغرار من قومنا ، « وسادتنا وكبرائنا » !!

ولننظر إلى خريطتهم المشهورة : « إسرائيل الكبرى » التي تمتد في كل اتجاه ، وخاصة في الجنوب الشرقى حيث عاصمة الإسلام الأولى ، ومهاجر النبي ﷺ ومثواه !!

وبالأمس دنسوا القدس الشريف والتموه !! والشيطان اليهودى جاد — كل الجد — في التهام المدينة المنورة ، وما وراءها . . !!

٧ - على أمتنا أن تختار :

إما أن تخلد إلى الأرض ، وترضى بما هي عليه اليوم من مناهج

الإلحاد والفساد ، وحينئذ يسودها « إخوان القردة والخنازير » جزاء
وفاقاً ، ولا يظلم ربك أحداً !

وإما أن تسمو إلى أفاقها الربانى ، فتلتقى مدد السماء ، ونصر
الله عز وجل .

ولا توسط بين الأمرين ، ولا سبيل إلى المساومات التى يلتقى
بعدها الأطراف عند نقطة ما ، أو فى منتصف الطريق !!

إنها معركة مع « أشد الناس عداوة للذين آمنوا . . . » !!

وإذا انخدع الأغرار من أمتنا بالأمانى والأوهام . فلن ينخدع
عتاة اليهود ، وشياطين « التلمود » ، بل سيمضون فى خطتهم الحاقدة
غير حافلين بوعود أو عهود !!

كذلكم قال الله من قبل !!

وهذا كتاب الله ينطق عليهم ، ولا ريب فيه :

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ
وَأَيَّاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

إن الزحف اليهودى لا يوقفه إلا الإسلام !!

وإن ميل الميزان لا يعدله إلا القرآن !!

والحل فى أيدينا لو نفيق من سكرتنا :

بأن نرد القضية إلى خطها الأصيل ، فتصبح بذلك قوة تتأى على

(١) سورة المجاثية : ٦ .

الوَادِّ والاحتواء !!

وَأَنْ نَعُودَ بِالْمَعْرَكَةِ إِلَى امْتِدَادِهَا الْإِسْلَامِي بِكُلِّ آفَاقِهِ
وَأَعْمَاقِهِ !!

وَلَنْ يَتَحَقَّقَ هَذَا بِكَلِمَاتٍ تَقَالَ !!

وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرُ فَصْلٍ ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ !!

لَا بَدَّ أَنْ نَغَيِّرَ وَاقِعَنَا الْكَثِيبَ ، لِيَتَسَقَّ كُلُّهُ مَعَ عِبُودِيَّتِنَا لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ، وَلِنَقَارِعَ الْعَقِيدَةَ بِالْعَقِيدَةِ ، وَنَقْذِفَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَدْمَغَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ !!

لَا بَدَّ أَنْ نَمْزُقَ — بِلَا تَرَدُّدٍ — كُلَّ أَعْلَامِ التَّبَعِيَةِ وَالْإِلْحَادِ !!

وَأَنْ نَرْغِمَ « الْجَاهِلِيَّةَ » عَلَى الْإِنْسِحَابِ مِنْ قِيَادَةِ الْمُسْلِمِينَ ،
حَتَّى يَنْفَسِحَ الْمَجَالُ لِيَتَبَوَّأَ الْإِسْلَامُ مَكَانَهُ ، وَلِيَقُودَنَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ فِي
« مَعْرَكَةِ الْمَصِيرِ » ، « وَصِرَاعِ الْوُجُودِ » .

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١) .

وَلَقَدْ قَادَ خَطَانَا هَذَا الْكِتَابَ الْعَزِيزُ فَجَعَلَنَا خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجَتْ
لِلنَّاسِ ، وَأَصْبَحْنَا بِهِ الشُّهَدَاءُ عَلَى الْأُمَمِ ، وَالْأَمْنَاءُ عَلَى الْقِيَمِ ، وَبِهِ أَنْقَذَ
اللَّهُ تَعَالَى الْبَشَرِيَّةَ مِنْ مَصِيرِهَا الْمَظْلَمِ !

وَلَا يَزَالُ هَذَا الْكِتَابُ غَضاً كَمَا نَزَلَ ، وَلَا يَزَالُ قَادِراً عَلَى أَنْ

(١) سورة فصلت : ٤١ ، ٤٢ .

يحدد أمرنا كله ، ويبحث في هذا الموت روح الحياة ، حين يستجيب
لهتافه الجليل جيل من المؤمنين الصادقين !!

وعلى يد هذه « الأمة المؤمنة » المرتقة سينقذ الله تعالى البشرية
مرة أخرى بإذنه وفضله — كما أنقذها على يد إخوانهم أول مرة —
ليستأنفوا بها رحلة الحياة الطاهرة في ظل الوحي الإلهي ، وليطهروها
من دنس « السفهاء ، والمفسدين » في الأرض ، الذين أشاعوا فيها
كباثر الإثم ، والفواحش ، وحطموا فيها معايير الأخلاق
والفضائل !!

وعلى عاتق هذه « الأمة المؤمنة » يقع عبء هذا العمل الجليل ،
وخاصة بعد أن خدع « شياطين التلمود » هذه البشرية العانية ، حتى
غدت تعينهم علينا في غفلة وبلاهة !!

ومن أجل هذا كله فصل الله تعالى الحديث ، وعزى هذه
النفسية اليهودية اللعيمة ، وأغرى بها المؤمنين ليقفوا في وجهها قرية
واحساباً ، وسجل ذلك في كتابه المحكم ، بآتم بيان ، وأوفى برهان ،
حتى لا يختلف فيه اثنان ، ولا يخفى على مؤمن يقرأ هذا القرآن !!
وفي الصفحات التالية تفصيل هذا الإجمال بإذن الله .

* * *

الباب الأول

اليهود مُفضلة التاريخ

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (١)

- * المشكلة اليهودية !
- * الحقد دين !
- * معضلة عالمية .
- * أسفارهم شاهدة !
- * التلمود أدهى وأضل !
- * من ظلمات التلمود !
- * السامري وخلفاؤه .
- * اليهود هم التلمود . .
- * أبناء إبليس . . !
- * الشخصية التلمودية !
- * اليهودي المعاصر نتاج التلمود .
- * سر قرآني معجز . . .
- * جرائم اليهود المعاصرة .
- * القلعة الأخيرة . . !!

٨ — المشكلة اليهودية :

تتلخص هذه المشكلة في أن « اليهود » أمة تحمل في أعماقها خصائص نفسية بالغة التعقيد ، وتنطوى على أخلاق غاية في العوج والالتواء ، ولذلك تموج صدورهم بحقد طافح على الناس جميعاً ، وتتأجج جوانبهم — دائماً — بوحر هذا الغل المحتدم ، فيسعون في الأرض فساداً ، ولا يرون لأنفسهم راحة أو سعادة إلا على أنقاض الآخرين ، ولا يستريحون إلا بالدس والكيد ، والتآمر والبغى ، والتخريب والانتقام !!

وإنه لأمر عجاب أن توجد أمة من البشر على هذا النمط ، وتمتد في سلسلة واحدة عبر الأزمنة والأمكنة ، وتتأصل في أجيالها جميعاً كل خلائق السوء إلى هذا الحد الرهيب !

ويكاد العقل ينكر هذا للوهلة الأولى ، ولا يصدق استمرار هذا السعار النفسى في الجيل بعد الجيل ، على امتداد أكثر من ثلاثة آلاف سنة !!

ولكن هذا فعلاً هو واقع اليهود ودينهم ، بل هو دينهم الذى صنعوه لأنفسهم ، وأشرته قلوبهم على تعاقب القرون والأجيال ، حتى صار كأنه سليقة مكتسبة تنتقل مع « حاملات الوراثة » إلى دماء الأخلاف عن الأسلاف !!

« فالمشكلة اليهودية » ترجع ابتداء وانتهاء إلى نوعية « الشخصية اليهودية » ذاتها ، وما درجت عليه من بغضاء وإيذاء !!

٩ — الحقْد دين :

وكانت جناية الجنائيات في التربية اليهودية جعلهم ذلك كله ديناً وعقائد ، وشعائر وشرائع ، ينسبون لها — بزعمهم — إلى الوحي الإلهي ، فتضفى ستاراً من القداسة الدينية على هذه الأخلاق الدنيئة ، وتعطيها حوافز الإلزام والاحترام لدى الأجيال اليهودية ! !

وقد أمعن أحبارهم في اختلاق القصص والتعاليم التي تؤجج سعارها وضراوتها كلما ونت في الصدور ، أو خمدت جذوتها بتتابع العصور ، وبذلك استقرت ، واستمرت ، وتشابهت فيها قلوب الأولين والآخرين ! !

١٠ — معضلة عالمية :

وهذا الحقْد اليهودي موجه إلى الناس جميعاً من قديم ، ولم تقلت منه أمة قط ، بل إنهم يمدونه إلى عالم الغيب ، بعد أن ضاقت عنهم الأحياء والأشياء في عالم الشهادة ! !

وهذه حقيقة تاريخية معروفة ومؤكدة ، ولم يجلبها على نطاق واسع إلا القرآن العظيم الذي فصل أمرها ، وردّها إلى جذورها ومنابتها العفنة ، وكشف مداخلها ومخارجها في « النفسية اليهودية » ، وساق للناس دلائلها من واقع التاريخ اليهودي الذي كان قد طمس ، وجهلت حقائقه وحوادثه ، وما وراءها من بواعث وأهداف !

والقرآن العظيم — كما سنرى في هذه الدراسة — يتفرد بشمول

حديثه عن هذه « الشخصية اليهودية » المعقدة ، وباستخراج المقومات الثابتة والمشاركة في أفرادها ، والتي يمكننا على ضوءها استقراء مكنونات هذه النفسية ، وفهم اتجاهاتها ، وتصور ردود الفعل عندها ، واحتمالات تصرفاتها المنعكسة عن أعماقها وأخلاقيها !!

وقد جاءت الدراسات العالمية الحديثة — وعلى أيدي غير المسلمين — شاهدة بصدق كل كلمة جاء بها القرآن العظيم ، وشارحة ومفسرة لإشاراته المعجزة ، ومصدقا واقعا لقول الله عز وجل :

﴿ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ الْحَقُّ ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

١١ — وأسفارهم شاهدة عليهم :

وحينما نقرأ أسفار اليهود — المقدسة بزعمهم — نشعر على الفور أننا أمام « تركيبة » بشرية مزعجة غاية الإزعاج ، بالغة متبى الوحشية والشراسة ، فائقة القدرة على الالتواء والتحريف ، والافتراء الفاحش على كل شيء ، حتى على الله عز وجل ، وملائكته ، ورسله ، بل الناس أجمعين !!

ولنأخذ هنا مثالا يغنى عن كل مثال ومقال :

فقد زعموا أن « إسرائيل » سأل إلهه : ولماذا خلقت خلقا سوى

(١) سورة فصلت : ٥٣ .

شعبك المختار ؟ ! فقال له : « لتركبوا ظهورهم ، وتمتصوا دماءهم ،
وتحرقوا أخضرهم ، وتلوثوا طاهرهم ، وتهدموا عامرهم » (١) .

والوحي الإلهي — بدهة — يبرأ كل البراءة من هذه الأساطير ،
ولكنها الطبيعة اليهودية المتوحشة تتبدى وتتجسد في هذه النصوص
المزورة المفتراة ! !

بيد أن اليهود — كدأهم — لم يقفوا عند حدود الأسطورة
النظرية ، وإنما ألحوا على جعلها ديناً ووحياً مقدساً ، يستوجب
التنفيذ ، ويستلزم التطبيق ، وتأكيداً وتبريراً لذلك صبغوا سيرة كرام
أنبيائهم عليهم السلام بصبغة طامسة الفضائل ، دامية المعالم لا ترى فيها
الاعلأ وحققاً يجرف كل شئ أمامه حتى الأطفال والحيوان ،
وتتجاوز فيه فنون التعذيب كل وسائل الطواغيت والجبارين
والفراعين ! !

فهذه مدينة « أريحا » حين ابتليت بهم كانت عقوبتها :

« وحزّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ،
حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف » ! ! (سفر يشوع :
٦ — ٢٢) .

وهذا النبي الصالح داود عليه السلام ينسبون إليه أفظع الجرائم
التي تتضاءل دونها جرائم فرعون ذى الأوتاد :

« وأخرج الشعب الذى فيها ، ووضعهم تحت :

(١) سفر المكابيين الثاني (١٥ — ٣٤) .

- مناشير ونوارج حديد .
- وفؤوس حديد .
- وأمرهم في أتون الآجر .
- وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم . « !! (سفر صموئيل الثاني ١٢ — ٣١) (١) .

وجل شأن الله الرحمن الرحيم عن هذا البهتان المستطير !!
وتنزهت كتبه ورسله عن هذا الإفك المين !!

١٢ — التلمود أدهى وأضل :

لم يكتف اليهود بهذه الشناعات الصارخة التي حشوا بها أسفارهم الظاهرة !

بل لم يتسع نطاق العلانية لكل ما تزخر به صدورهم من حقد طافح ، ولؤم عاصف ، لذلك عمدوا إلى توسيع دائرة الكذب على الوحي الإلهي الجليل ، وتسربلوا بأطباق من ظلمات : « التعاليم السرية » الغامضة المبهمة ، وأمدتهم في الغي قدرتهم العارمة على التحريف والترفيف ، والالتواء والافتراء ، والدس والإخفاء !

وتبدأ القصة عندهم باختلاق خطير !!
فقد زعم أحبارهم العتاة أن الله تعالى أوحى إلى موسى الكليم

(١) وهكذا نرى أن إحراق الشعوب في الأفران هو اختراع يهودى قديم ، وهم يشعرون به على « النازية » زوراً !!

عليه السلام ، وهو بطور سيناء ، نوعين من الوحي :

الأول : الشريعة المكتوبة (أسفار التوراة) .

الثاني : الشريعة المكررة (التعاليم الشفهية) .

وهي تعاليم سرية — في زعمهم — وتتضمن التفسير الحقيقي الصحيح الذى يعنيه الله ويريده من النصوص الظاهرة المكتوبة فى أسفار التوراة^(١) .

ويزعمون أن هذه التعاليم تنوقلت شفاهاً عن « موسى » عليه السلام عبر أربعين جيلاً حتى انتهت إلى « يهوذا هاناسى » فلوونها خشية ضياعها وسميت : « المشناة »^(٢) .

ثم عكف الأحبار على شرح « المشناة » فى أورشليم ، وفى بابل ، وسميت الشروح باسم : « الجمارا »^(٣)

ومن المتن وشرحيه جاء ما يعرف « بالتلمود » بنوعيه :

(١) اليهود هم أئمة هذا اللون من التحريف عن طريق تفسير النصوص بمثل هذه المزاعم السرية الباطلة ، ولذلك كانوا وراء الحركات المنحرفة والهدامة قديماً وحديثاً أمثال : غلاة الصوفية ، والباطنية ، والبهائية ، والماسونية . . . إلخ وكلها تقوم على الرموز ، والزعم بأن للظواهر بواطن لا يعلمها إلا الراسخون . . . !!

(٢) تم هذا الجمع بعد ميلاد المسيح عيسى عليه السلام بنحو قرنين ، « المشناة » كلمة عبرية بمعنى « المعرفة » أو « آلقانون الثانى » .

(٣) تم هذا ما بين القرن الرابع والخامس الميلادى . و « الجمارا » معناها الشرح أو « الإكمال » .

« الأورشليمى والبابلى »^(١) وهما سواء فى البهتان والافتراء !!

فالتلمود على هذا هو :

« الكتاب العقائدى الذى وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودى وتعاليمه »^(٢) .

أو هو : « كتاب شرائع وآداب إسرائيل »^(٣) .

١٣ - من ظلمات التلمود :

إن التعاليم التلمودية فى العقائد والشرائع ، والأخلاق والأحكام ، شئ لا يصدقه العقل ، ولا يخطر على بال أو خيال ، لولا أنه واقع قامت عليه حياة اليهود قروناً متطاولة ، ثم دُونَ وطبع وقرأه الناس !!

(١) راجع الكتب الآتية :

- (أ) التلمود . . . : لظفر الإسلام خان .
 - (ب) « همجية التعاليم الصهيونية » : للأب بولس حنا .
 - (ج) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام للدكتور على عبد الواحد وافي .
 - (د) « فضح التلمود » : للأب برانائس .
- (٢) راجع كتاب « فضح التلمود » ص ٢١ حيث يرجع الكلمة إلى « لامود » بمعنى التعاليم .

(٣) « همجية التعاليم الصهيونية » ص ٢١ .
ومما يذكر أن التلمود طبع مرة بلغته الآرامية فى (١١) جزءاً كبيراً بمدينة البندقية (١٥٢٠ - ١٥٢٣) .

ومن هذه الظلمات التلمودية :

● إن تعاليم الحاخامين لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله .

● للحاخامين السيادة على الله وعليه إجراء ما يرغبون فيه (١) .

● وأنه ﴿ تعالٰى عما يقولون ﴾ يقضى ثلاث ساعات من النهار « يلعب مع اللافياتن ملك الأسماك . . » .

« إلا أنه يجب الانتباه إلى أن لعب الله مع اللافياتن قد مضى بعد تدمير هيكل أورشليم . »

« ومن ذلك الوقت لم يعد لله جلد على اللعب والرقص كما كان يصنع في الأزمان السالفة ، وأول رقصة رقصها الرب كانت مع حواء بعد أن برجها وزينها وسرح شعرها بنفسه . »

أما بعد تدمير الهيكل فإنه لم ينقطع عن البكاء والنحيب . . . و « يطوى ثلاثة أرباع الليل منكمشاً على ذاته . مائلاً الدنيا زئيراً . . » ثم يصرخ :

« الويل لى لأنى تركت بيتى ينهب ، وهيكلى يحرق ، وأولادى

(١) ص ٤٧ من الكنز المرسود فى قواعد التلمود ، وراجع كتاب « اليهودية والصهيونية » ص ١١٠ وما بعدها

يتشتون» (١) .

● « اليهودى أحب إلى الله من الملائكة ، فالذى يصفع اليهودى كمن يصفع العزة الإلهية » (٢) .

● « الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبدية ، أما الشعوب الباقية فمماثلة للحمير » (٣) .

وعلى هذا النمط السافل يمضى « التلمود » فى استباحة الأعراض ، والدماء والأموال ، وتقرير الفواحش ، وأكل الربا ، والسرقة ، والغش ، والخداع ، ونقض العهود والمواثيق ، والغدر ، والتلاعب بأغلظ الأيمان ما دام الخصم أهمياً غير يهودى !

ولا تعليق لنا على هذا الإفك المبين إلا أن نقول :

سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم !!

وتعاليت ربنا عما يقول المجرمون علواً كبيراً !!

وما كنا لتكلم بهذا أو ننقل منه حرفاً لولا أننا فى معركة وجود ومصير مع هؤلاء العتاة الملحدين ، حتى تستبين للمسلمين نوعية عدوهم وخطره الدايم على عقائد الحق ، وأخلاق الوحي ، وشرائع الله عز وجل !!

(١) همجية التعاليم الصهيونية الفصل الثانى « فساد العقائد التلمودية » مع اختصار يسير والكتاب مرجع علمى موثق النقول ، وراجع أيضاً الكنز المرصود ص ٤٩ وما بعدها .

(٢) همجية التعاليم . . . ص ٦٢

(٣) السابق ص ٦٤ .

فجميع الكنائس النصرانية تعلم جيداً موقف « التلمود » من عيسى وأمه ، ومن كل ما يمت إلى النصارى بصلة ، حيث يعتبرهم التلمود أعدى الأعداء^(١) ، ومن ذلك ما جاء فيه :

« يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين القار والنار ، وأمه مريم أتت به من العسكرى باندارا سفاحاً ، والكنائس النصرانية بمثابة قاذورات ، وأساقفتها أشبه بالكلاب النابجة ، وقتل المسيحى من الأمور المأمور بها . . . ومن الواجب ديناً أن يلعن اليهودى ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى . . . »^(٢) .

ورغم هذا يتآمر كثير منهم مع اليهود ضد الإسلام وأهله^(٣) ، بل إن الأمم النصرانية هى التى مكنت لليهود فى أرضنا ، ولا تزال تمدهم بكل عناصر القوة !!

فهل سبب ذلك ما يقوله اليهود أنفسهم من أنهم اجتاحتوا هذه الهياكل الخربة ، وامتنطوا ظهور الحمير من أتباع « يسوع » ؟ !

وإلا فكيف نفسر هذا الموقف مع القدح الأشنع فيهم خلال

(١) راجع كتاب : « فضح التلمود » للأب برانليس ص ٥٥ وما بعدها ، والكتاب كله تلخيص دقيق لموقف التلمود من النصرانية ، وما يضره اليهود من عداوة فاحشة لأهلها !!

(٢) راجع كتاب الكنز المرصود ص ٢١ — ٢٢ مع تصرف يسير لتصحيح العبارات .

(٣) يذكر (وايزمان) اليهودى فى مذكرته الدور الخطير الذى لعبته « الكنيسة الإنجليزية » لمساعدة اليهود لإيمانها بما زعمه : « وعد التوراة لليهود بالعودة إلى فلسطين » !! ترى كم من الكنائس تلعب هذا الدور لصالح أعداء الله ورسله وعلى رأسهم المسيح ؟ !

« التلمود » كله ، مما ليس له نظير في ضراوة الحقد والبغضاء !!
وهل آن لهم أن يقارنوا هذا الحقد الأسود بالحقائق المشرقة التي
قررها القرآن العظيم عن عيسى عليه السلام ، وأمه الصديقة
الطاهرة ، التي أحصنت فرجها ، وكانت من القانتين !!
ويا لها من « مقارنة » بينة النتائج والدلائل !!
ثم يا لها من « مفارقة » في المواقع والمواقف !!

١٥ — السامرى وخلفاؤه :

إن الإنسان ليقف حائراً أمام ظلمات « التلمود » ، ولا يتصور
صدورها من أراذل الملحددين والمشركين ، بله أصحاب الدين وأهل
الكتاب الأول ؟ !

والحق لا يمكن إدراك هذه المسألة على وجهها الصحيح إلا إذا
فهمنا خفايا « النفسية اليهودية » ، وأدركنا الخلفية المظلمة لدى
صانعي التلمود ، ومعتنقيه ، ومنفذيه ، إدراكاً تؤيده حقائق الوحي
الإلهي ، وتقارير النبوة الصادقة ، والوقائع التاريخية الوثيقة !!

ومن الحقائق الأسيفة — في تاريخ بني إسرائيل — عبادتهم
العجل ، الذي أخرجهم لهم « السامرى » !!

ومما زاد الأمر سوءاً أن يحدث هذا في أصل العقيدة الأول ،
وبعد سلسلة باهرة من المعجزات والآيات رؤوها عياناً ، ورغم وجود
أكبر أنبيائهم فيهم وهو موسى الكليم عليه السلام !!

ولقد حدث هذا وموسى عليه السلام فى ميقات ربه ، ولم يأتهم
بعد بقانون مكتوب ، ولا مكنون !!

بل إنهم لم يحفلوا بخليفة موسى ، وأخيه النبى الكريم هرون عليه
السلام ، رغم فصاحة لسانه ، وجليلى نصائحه^(١) .

فعلام يدل هذا ؟ !

إنه بلا ريب خلل خطير فى نفسية هذا الشعب ، وداء وبيل
يجعلها نزاعة إلى السوء ، متهافة لطاعة دعائه ، توافقة إلى المشاقة
والمخالفة فى كل ضروب الخير والبر !!

ومن هنا سهل على « السامرى » إضلالهم فى بدهيات العقيدة
والتوحيد فكيف بخلفاء السامرى ، وقد فتحوا على قومهم هذه
الفجوة الهائلة من مزاعم « التعاليم الشفهية » ؟ !

ولم تكن مهمة « الأخبار » العتاة تبدأ من فراغ ، وإنما كانت
تعتمد على استخراج أخبث مكنونات « النفسية اليهودية » ، وجعلها
ديناً وعقائد ، وإلصاقها بالوحى كذباً وبهتاناً !!

تماماً كما أخذ « السامرى » (أوزارهم) الذهبية ، فجعلها أمام
أعينهم عجباً جسداً له خوار . . . ولما كان ذلك ترجمة لما أشربته
قلوبهم خروا له سجداً وقالوا :

﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَسَى ﴾ (سورة طه : ٨٨) .

(١) من شاعات اليهود أنهم نسبوا إلى «هرون» عليه السلام صناعة العجل (سفر
الخروج ، الإصحاح ٣٢) وقد برأه القرآن من جريمة ذوى قرياه !!

١٦ - اليهود هم التلمود :

ومن هنا كانت تعاليم « التلمود » أوفق صورة لنفسية اليهود ، بل هي انعكاس لدخائل أعماقهم على صفحات كتاب ، كانطباع الصورة على المرأة ، فهي ترجمة صريحة لهذه « الشخصية » الموغلة في الخبث والأحقاد ، حتى ليتساءل بعض الباحثين : أيهما صنع صاحبه ؟ ! وأيهما الأثر أو المؤثر ؟ !

وفصل الخطاب في الجواب أن كلاً منهما تجسيد لصاحبه في واقع الأمر !

« فالتلمود » تجسيد مكتوب لأخبت ما في النفسية اليهودية من سخائم الضلال !

و « اليهودى التلمودى » هو تجسيد حى لهذه الشناعات المكتوبة والمنسوبة إلى الوحى زوراً وبهتاناً ! !

وإذا كانت ضلالة « السامرى » قد تغلغت فيهم رغم وجود دوافعها وموانعها ، فإن ضلالات « التلمود » وجدت طريقها ممهداً فتمكنت :

أولاً : لأنها وضعت في عصور الشتات ، والقوم سماعون للكذب وخاصة إذا صدر من أحبار السوء ! !

ثانياً : لأنها جاءت بعد انقطاع النبوة من بنى إسرائيل ، وتحويلها عنهم لما كفروا بآخر أنبيائهم ، وقالوا فيه وفي أمه بهتاناً عظيماً ! !

ثالثاً : لتوافقها التام مع ظلمات النفسية اليهودية الضالة !

ومن هنا نفهم كيف امتزجت هذه التعاليم بالكيان اليهودي ، وسرت فيه مسرى الدماء في الخلايا ، ولذلك آمنت الجماهرة الكبرى من اليهود بهذه التعاليم الفاحشة ، وقدرتها ، وأطاعتها عن رضا ، وفضلوها على التوراة ، والتزموا بها فوق التزامهم بسائر ما لديهم من وصايا وأسفار (١) ! !

ولا يزالون كذلك إلى يومنا هذا ، وهم أصحاب الكلمة والسلطان في اليهود جميعاً ، ومن يعارض التلمود منهم — على قلته — يعدونه ضالاً ، ولا تأثير له ألبتة ! !

١٧ — أبناء إبليس :

ومن المفيد في فهم الشخصية اليهودية الالتفات إلى الأوصاف العجيبة التي دمغوا بها في أسفارهم ، أو في الأناجيل (وأصحابها من بنى إسرائيل) ، فإن هذه الأوصاف تعبر عن سر الانحراف في النفسية اليهودية ، وتأتى فيها كلمات دقيقة تتطابق تماماً مع الأخلاق اليهودية في كل العصور .

ومن ذلك على سبيل المثال ما ينسب إلى الوحى :

« . . وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صُلب الرقبة (٢) » .

(١) راجع في تفصيل هذا التفضيل كتاب : « الكنز المرصود في قواعد التلمود » ص ٤٤ وما بعدها .

(٢) سفر الخروج (الإصحاح ٣٢) : ١٠ .

ومنه ما نسب إلى عيسى عليه السلام تبيكيتاً لليهود :
« أيها الحيات أبناء الأفاعى كيف تهربون من دينونة
جهنم (١) » .

ومما نسب إليه عليه السلام تلك المحاورة اللاذعة معهم :
« . . . أجابوا وقالوا له أبونا هو إبراهيم ، قال لهم يسوع :
لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم * ولكنكم الآن
تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعته من الله ،
هذا لم يعمله إبراهيم * أنتم تعملون أعمال أبيكم . . . * أنتم من أب
هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ، ذلك كان قتالاً للناس
من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق ، متى تكلم بالكذب
فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب . . . » (٢) .

وهذه من أكثر الكلمات صرامة وحسماً فى تحليل النفسية
اليهودية ، وكشف زيفها ، وإسقاط أقنعة الغرور عنها ، وعكس
دعواها عليها ، وتسميتها بحقائق أمرها ، وردها إلى منبتها وأصلها
الذى رضىته لنفسها ، وانتسبت إليه بأعمالها وأخلاقها ، وآثرته على
نهج ربها ورسله الأكرمين ! !

« التمثل بالشيطان فى كل شىء » ! !

هذه تماماً هى مشكلة اليهود مع الناس فى كل العصور ! !

(١) إنجيل متى (الإصحاح ٢٣ : ٣٣ .

(٢) إنجيل يوحنا (الإصحاح ٨) راجع من ٤٠ — ٤٥ .

إنها عقدة الشيطان بعينها التي ضل بها على علم ، واستكبر فيها على أمر ربه ، واستطال بغير الحق ، وراح يلتمس لذلك الأكاذيب تبريراً وتعليلاً !!

وإنها بعد مشكلة الاستعلاء بالعنصر ، والاستكبار بالنوع على الناس أجمعين ، تماماً كما استكبر إبليس على أئى البشر ، واغتر بعنصره ، وانتهى به الأمر إلى تحديد مهمته فى الوجود ، وحصرها فى أظلم شعاب : الإغواء والإغراء ، وتدمير العقائد والأخلاق !!
وتلك بعينها مهمة اليهود فى الأرض !!

١٨ — الشخصية التلمودية :

ولا ينبغى أن تغيب عنا الدلالة التاريخية لهذه الأوصاف القارعة التى دمغت اليهود ، فإن الذين خوطبوا بها هم وأحفادهم صانعو التلمود ، ومنفذوه ، والوراث الغلاظ لتاريخ أمتهم الحافل بالتحريف والزيف ، والجرأة على الوحى ، والاستهتار الفاجر بكل شئ !!
ومن هنا :

تبدى لنا الحقيقة الصارخة للشخصية اليهودية المتولدة من تعاليم « التلمود » الحقود !!

إنها « شخصية شيطانية » بكل معانى هذه الكلمة :
منشأً ، ومنزعاً ، وفكراً ، وسلوكاً ، وإلحاداً وعناداً ،
واحترافاً للتضليل والإفساد !!

وعلى هذه التعاليم الفاسدة يشب الصغير ، ويشيب الكبير ،
وتتأصل العادات ، وتتعضن المعتقدات ، وتنتقل الأخلاق والصفات
الدينئة بعدُ عبر الأجيال ، وتشابه بها قلوب اليهود في كل زمان
ومكان ، لأنها تستقى من معطن واحد ! !

١٩ — اليهودى المعاصر نتاج التلمود :

ولقد زويت الأرض للناس ، وتقاصرت مسافات السفر ، بما
استحدثت في دنيا الناس من وسائل الاتصال والانتقال ، حتى بات
العالم كأنه مدينة كبيرة تختلط فيها الأمم ، مما أحدث تغييراً واسع
النطاق في العادات ، والأفكار ، والاتجاهات ، والاهتمامات . . .
إلخ .

والسؤال هنا :

هل أفلحت علوم الحضارة الحديثة ، وثقافتها ، وفنونها ،
وتحررها ، وانفلاتها من القيم والمعايير بدرجة غير مسبوقة في
التاريخ . . .

هل أفلح شيء من ذلك في : « تبديل أو تعديل نفسية اليهودى
التاريخية الموروثة » ؟ !

لقد كان هذا هو المظنون والمأمول عند كثير من الناس بآدى
الرأى ! خاصة وقد خرج اليهودى من معازله ، وحاراته القديمة
المغلقة : (الجيتو) ، واختلط بالأمم والشعوب ، التى تسامحت معه

إلى أقصى الحدود ، واعتبرته واحداً منها ، وأعطته قومياتها ، وجنسياتها . . . إلخ .

ولكن « النفسية اليهودية » العاتية أخلفت الظنون ، وبددت أوهام الأُميين ، فتبدت حقيقتها « التلمودية الرهيبة » صارخة ، وامتدت على شاكلتها الكالحة !!

بل الأعجب : أنها ازدادت ضراوة وتعقيداً ، واشتدت شهيتها لإفساد العالم كله الآن ، وتدمير قواعده ، وإقامة ما يزعمونه : « مملكة داود » على أنقاض الأديان ، والأخلاق ، والحكومات والشعوب جميعاً . . . !!

ولم تكن هذه النتيجة مفاجئة إلا لأغرار « الأُميين » ، وخاصة الملحدين منهم ، الذين عموا عن أنوار الوحي الإلهي العظيم !

٢٠ — سر قرآني معجز :

لكن المؤمن حينما يقرأ القرآن العظيم يجده يخاطب الأخلاف من اليهود بذنوب الأسلاف ، ويحكم على أجيالهم — حتى المقبلة منها — بأدوات الحصر والعموم ، إيداناً بأنهم في الضلالة على كلمة سواء ، وأنهم « أمة واحدة » في العوج والالتواء ، وقد تشابهت قلوبهم « على امتداد الأجيال (١) » !!

واليهودي المعاصر هو الحصاد المباشر « للتلمود » ، وحفظته

(١) راجع تفصيل هذا في الفقرات : ٧٠ — ٧٣ من هذا الكتاب .

المرّة التي تنطبق عليها القاعدة القرآنية ، المعجزة الموجزة : ﴿ وَالَّذِي
خُبْتُ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ (الأعراف : ٥٨) .

٢١ - جرائم اليهود في ضوء الأحداث والدراسات المعاصرة :

دأب اليهود على تغليف مؤامراتهم بأطباق من السرية الصارمة
ويأبى الله تعالى إلا أن يفضحهم في واقع الحياة ، كما عرى أخلاقهم
ونفسيّتهم في كتابه المحكم من قبل !

وسنوجز هنا شيئاً من ذلك بين يدي هذه الدراسة القرآنية ،
حتى تستبين معجزة القرآن في هذا الزمان ، وحتى نفهم جيداً أسرار
حملته الشاملة على أعداء الحق وأعداء البشر أجمعين !!

ومن أمثلة ذلك بإيجاز شديد :

(أ) وثائق حكومة « بافاريا » :

وملخص قصتها : أن اليهود كانوا يدبرون خططاً رهيبة لتدمير
الكنيسة في أوروبا ، وإثارة الفتن والحروب ، وتآليب الطبقات بعضها
على بعض ، ونشر الفساد ، والإلحاد ، والانحلال . . . إلخ .

وفي عام ١٧٨٥ م أرسلوا فارساً من « فرانكفورت » إلى
« باريس » حاملاً معلومات مفصلة عن خطط اليهود الإجرامية ،
وتعليمات خاصة من زعمائهم في ألمانيا إلى أضرابهم وعملائهم في
فرنسا !

وشاء الله تعالى فانقضت صاعقة قتلت هذا الفارس المسرع وهو عبر منطقة تسمى « راتيسبون » ، وانتهت وثائقه إلى حكومة « بافاريا » التي أسرعت بدورها إلى مداهمة أوكار اليهود فعثرت على وثائق أخرى ، وأخطرت حكومات أوروبا يومئذ ، ولكن هذه الحكومات تبلدت أمام هذا الموقف ، حتى اجتاحت فرنسا — بعد سنوات قليلة — عواصف الثورة ، والتخريب^(١) . . . !

(ب) مقررات صهيون (البروتوكولات) :

وملخص قصتها : أن اليهود عقدوا مؤتمراً سرياً في مدينة « بال » بسويسرا عام ١٨٩٧ م ، وانتهوا إلى قرارات بالغة السرية والتكتم !

وجرى القدر مرة أخرى على خلاف ما دبروا ومكروا !

فقد استطاعت امرأة فرنسية الاستيلاء على بعض وثائق هذه المقررات ، ثم انتهت هذه الوثائق إلى العالم الروسي « سيرجي نيلوس » الذى هالته ضراوتها فعكف على دراستها وتحليلها ، ونشرها في أوائل هذا القرن العشرين (الميلادى) .

وقد تنبأ — بناء على دراسته الفاحصة — بما يدبره اليهود من مؤامرات رهيبة لإسقاط روسيا القيصرية (الدولة والكنيسة) ، ولإسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية حتى يتمكنوا من المرور إلى فلسطين . . إلخ .

(١) راجع كتاب : « أحجار على رقعة الشطرنج » ص ٩ وما بعدها ، ص ٨٨ ، ٩٥ .

وقد حدث تماماً كل ما توقعه الرجل بعد ذلك تبعاً

وقد اشتهرت هذه الوثائق باسم « بروتوكولات حكماء صهيون »^(٢) وهى فى حقيقتها تجسيد صارخ لكل ظلمات التلمود ، وجرائمه ، وتمثل مخططاً شيطانياً لم يسبق له نظير فى الإلحاد والإفساد ، وينفذ على الساحة العالمية بأكبر قسط من الفحش والضاوأة !!

وقد هبّ اليهود — كدأبهم — ينكرون هذه المقررات ، ويزعمون أنها زيفت عليهم ، وتلك لعمر الحق إحدى خصالهم الذميمة القديمة ، وقد سجلها عليهم القرآن العظيم تحذيراً للمؤمنين .

﴿ وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ، قُلْ مُؤْتُوا بَعِيثَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾
(آل عمران : ١١٩) .

(ج) الدراسات العلمية المعاصرة :

وهى دراسات جادة قام بها عدد من أحرار الفكر فى العالم ، ولفتوا فيها أنظار الأمم — وخاصة النصرانية — إلى المصير المروع الذى يبيتها لها اليهود !!

(١) سيأتى الوصف القرآنى الجامع الذى دمع به اليهود وهو « السفهاء » — بدل « الحكماء » وهو أخلق الأوصاف بجرائم اليهود (راجع ما كتبناه فى الفقرة رقم ٣٨) .

(٢) راجع كتاب : (بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسى ، وخاصة المقدمة الطويلة التى كتبها له .

ومن أجمع هذه الدراسات وأوفاهها تلك الأبحاث العلمية الدقيقة التي أعدها لفيف من العلماء المتخصصين في الشؤون اليهودية والاجتماعية ، تحت إشراف المالى العالمى « هنرى فورد » الذى أنفق عليها نفقات طائلة حتى جاءت على هيئة العلمية المتكاملة ، متميزة بالشمول والتمحيص وقد نشرت فى مجلة (دير بورن المستقلة) ثم جمعت فى كتاب باسم : « اليهودى العالمى » — المشكلة الأولى التى تواجه العالم^(١) !

والكتاب يثبت بالأدلة الوثيقة كيف أفسد اليهود الحياة فى أمريكا على وجه الخصوص ، وكيف دمروا الأخلاق والقيم باحتكار تجارة الخمر والبغاء ، والأزياء الماجنة ، والأشرطة الوضيعة ، والمسرخيات البذيئة ، والآداب الساقطة عبر مخطط . مدروس ومنظم !!

هذا فضلاً عن إفساد الحياة السياسية ، والتلاعب بالشع بالأسعار والأسواق ، وامتصاص الفوائد الربوية الباهظة ، والتآمر على الحكومات والشعوب ، بل يتحدث الكتاب عن مؤامرتهم لتدمير وتمويل الانقلاب الشيوعى فى روسيا (١٩١٧) من « نيويورك » ، حتى الرياضة البدنية أفسدوها بالمقامرات والرشاوى ، والحيل الخسيسة^(٢) . . . إلخ .

(١) هذا عنوان الترجمة العربية التى صدرت ١٩٦٢ ، بعد نشر الكتاب فى أمريكا بأكثر من ٣٠ سنة !!

(٢) الكتاب كله حقائق جديرة بالمراجعة ، وانظر على سبيل المثال ص (١٠٩ ، ١٤٤ ، ١٦٢ ، ١٧٦ ، ١٩٦ . . .) .

٢٢ — خلاصة الخطة اليهودية :

والخطوط الأساسية التي تدور عليها خطة اليهود هي :

(أ) خسة الغاية :

إذ هدفهم الأساسي هو « تحطيم العالم » في عقائده ، وأخلاقه ،
وروابطه ، حتى يتمكنوا من القفز إلى السلطة العالمية بلا مقاومة ! !

(ب) دناءة الوسائل :

فهم لا يعرفون في سبيل غايتهم رحمة ، ولا خلقاً ، ولا ضميراً
قط ، ينبغي التنبيه إلى أن تعاليم « التلمود » تجعل استعمال هذه
الأشياء في معاملة غير اليهود إثماً يجلب غضب ربهم الذي اخترعوه
وصوروه حقوقاً ، لدوداً ، شرهاً للخراب والدماء !

ولذلك يستعملون أحسن الوسائل مثل :

١ — السعى إلى تفسيح العالم ، وتدوين شعوبه في متاهات
الفكر والفقر ، والمذاهب ، والخلافات . . إلخ (البروتوكول
١٠) .

٢ — تلويث سمعة كل من يعارضهم ، والتآمر العنيف عليه
حتى يحطم ، أو يقتل غدرًا وغيلة بواسطة عملائهم
وجواسيسهم . . إلخ .

٢٣ - مثال صارخ :

وهو مثال يدل على إدراك اليهود للقوة الحقيقية التي يخشونها ،
وعلى مبلغهم من الإجرام والخسة في الغايات والوسائل جميعاً :

جاء في « البروتوكول : ١٧ »

« لقد عينا أكبر العناية منذ أمد بعيد بالخط من قيمة رجال الدين من الأغيار ، وتحطيم رسالتهم لأنها تعطل علينا أعمالنا بشكل أساسي ، وها هو نفوذهم يتقلص عن الشعب يومياً ، وقد أعلننا حرية الضمير في كل مكان ، ولم يبق على النتيجة إلا مسألة وقت ، عندما ينهار الدين المسيحي انهياراً كاملاً » .

وهكذا اليهود في قديمهم وحديثهم على سواء عجيب في ضلالهم حتى صاروا :

أمثلة الدهر !

وأحجية الدنيا !

ومعضلة التاريخ !

٢٤ - القلعة الأخيرة :

لقد أصبح واضحاً لكل ذى بصر أن السم اليهودى قد سرى
— حتى النخاع — في خلايا الحضارة المعاصرة ، وأن مسيحية
الكنيسة قد انهارت فعلاً أمام كيد الشيطان الرهيب ! !

ولم يبق في الأرض من قوة تستطيع مقارعة الشيطان إلا قوة
مؤمنة موصولة الأسباب بالوحي الإلهي المبين !

ونحن المسلمين نملك — وحدنا — قارورة الدواء من وحي السماء !

ونحن القلعة الأخيرة في الأرض ولا خيار !

ونحن الأمل الوحيد لإنقاذ البشرية من مصيرها المروع !

وستنجو البشرية بفضل الله عز وجل ، ثم بفضل هذا القرآن العظيم ، الذى جاءت الدراسات السابقة كلها تحقيقاً وتصديقاً لما قرره عن « الشخصية اليهودية » منذ قرون !!

وهى بعد شهادة من الواقع الذى تمخضت عنه الأيام ، ليزداد المؤمنون إيماناً بإعجاز هذا الكتاب المبين ، وأنه من رب العالمين :

﴿ قُلْ أُنَزِّلُهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
(الفرقان : ٦) .

وسنرى مصداق هذه الكلمات البينات فى الفصول التالية إن شاء الله تعالى . ويا له من كتاب لو كان معه رجال مؤمنون ونساء مؤمنات !

ويومئذ يخسأ الشيطان ، ويعتدل الميزان لصالح الإيمان بإذن الله العلى العظيم : ﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (١) ! .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

(٢) سورة يوسف : ٢١ .

(١) سورة (ص) : ٨٨ .

الباب الثانى

المعركة فى ضوء القرآن العظيم

وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ (١)

- * الفصل الأول : أعداء الإيمان .
- * الفصل الثانى : اليهود فى ميزان القرآن .
- * الفصل الثالث: مفاتيح النفسية اليهودية .

الفصل الأول

أعداء الإيمان

٢٥ - الوحي الإلهي :

يوقن اليهود أن الخطر الأكبر على مخططاتهم وأحقادهم هو : « الدين » ، بما يمثله من عقائد وأخلاق ، وتضحية وإيثار ، وحساب وجزاء في الحياة الآخرة . . إلخ .

ومن ثم جعلوا هدفهم الأول : « نزع الإيمان » من قلوب البشر وشحنها بسيل من الشبهات والشهوات ، حتى يصبح « الذهب » هو معبودها الأول ، على نمط عجل بنى إسرائيل القديم !!

وقد نجحوا فعلاً في اكتساح النصرانية ، وتدمير قواعدها كما بيناً ، وتركوا كنائسها — كما قالوا — هياكل خربة : شامخة البناء ، قليلة التأثير !!

ولم يضلوا إلى ذلك بوسائلهم الشيطانية فقط ، وإنما — أولاً — لانقطاع دين الكنيسة عن الوحي الإلهي الصحيح في أصوله الأساسية !!

فلما وقع الصدام بين أباطيل وأباطيل ، استطاعت أحقاد
« التلمود » أن تنفذ إلى قلب الكنيسة ، فهدم عليها دينها ، وتسحب
منها جمهورها العريض ، وتغرقه في لجة الانحلال ، ومتاهات الإلحاد
والإنكار !!

ومن هنا ظن الأغرار أن قضية الدين قد انتهت في الأرض ، وأن
اليهود قد كسبوا الجولة النهائية ضد الوحي الإلهي !!
ولكن الحقيقة غير ذلك « والله من ورائهم محيط » .

٢٦ - الخطر القرآني :

فالقرآن العظيم لا يزال قمة شامخة للوحي الإلهي المعجز ، وهو
محفوظ بوعد الله الأكيد ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) .

ولذلك تأبى على كل محاولات الطمس والتزيف . وقامت
تعاليمه كالنيرات في الظلمات ، تعلّم المؤمنين أنه لا سبيل إلى مقارعة
المؤامرة الهمجية ، وسحق أخطارها وآثارها إلا « بقوة مؤمنة »
موصولة الأسباب بالوحي الإلهي الأعلى ، ومستعيلة به على كل
ما تموج به الأرض من ركام المذاهب ، والمناهج ، والأضاليل !

ولا تزال هذه التعاليم القرآنية تنفث في صدور أتباعها حمية
مقدسة ، ليكونوا القلعة الوحيدة في الأرض ، المهيئة للمقاومة باسم
« الإيمان » ، والمرشحة للصدام العالمي ضد « شياطين التلمود » بما
تملك من منهاج منير ، وكتاب مبين !!

واليهود على يقين من هذا الأمر الخطير ، وقد رأوا طلائعه عياناً
في معارك فلسطين حين دارت تحت راية القرآن العظيم !

بل لقد تجاوز وعيم هذه الحقيقة وعى كثير من زعماء العرب
والمسلمين الذين يعزلون المعركة — عمداً وجهاً — عن قوتها
الحاسمة المؤثرة !!

ولذلك فعل اليهود الأفاعيل لتطويق هذا « الخطر القرآنى » بعد
ما رأوا بوادر اليقظة الإسلامية ، ووقفوا على حقيقة نمطها المقاتل ،
وتأثيرها الذى لا يقارع ولا يضارع !!

٢٧ — مخططات الهدم والتدمير :

وهى مخططات قديمة قصد بها تخريب الشخصية الإسلامية ،
 وإعادة صياغتها على نمط فاسد^(١) ، ولكنها عدلت وأعيد النظر فيها
على ضوء تجارب المعارك التى خاضها « المجاهدون » الإسلاميون ،
 وقلبوا بها كيد قرون !!

وتتلخص خطوطها الأساسية — فى صورتها الجديدة — فيما
يلى :

أولاً : عزل القرآن عن الحياة عزلاً صارماً ، حتى يصبح كتاباً
تاريخياً متحفياً ، لا يجاوز تأثيره عجائز المساجد ، أو سرادقات
المناسبات والمآتم !!

(١) راجع كتابنا : « الغزو الفكرى . . » لمعرفة كيف ربيت « الطبقة البديلة » لتخلف
الكفار فى بلاد الإسلام .

ثانياً : تفرغ من محتواه الخطير بضروب من سوء التأويل ، وتحريف التفسير ، ولّى معانيه عن وجهتها الأصلية تحت ستار من خدمة الدين ذاته ، وتجديده . . . إلخ .

ثالثاً : إطلاق الحياة الاجتماعية تركض — في صخب وطنين — على عكس ما رسم القرآن حتى تصبح عودته للحياة مستحيلة بقدر انفصال الواقع عنه !!

رابعاً : صياغة الفكر الجديد في الأمة على نمط أعوج مستعار من الشرق أو الغرب ، وليس له شخصية أصيلة الجدور ، بل يدور على محور واحد هو مجافاة الإسلام منهجاً ، وفكراً ، وسلوكاً ، بحيث يصبح المثقفون أعداء تقليديين للنمط القرآني ، بلسان الحال أو المقال !!

خامساً : سحق الطلائع الإسلامية (الواعية ، المنظمة) التي تمثل الخطر الأكبر عليهم ، باعتبارها طريق البعث الإسلامي القرآني الذي لا يغلب إذا تمكن !!

٢٨ — تفسير الألغاز :

وهذا يفسر لنا كثيراً من الألغاز والطلاسم التي ماجت بها الساحة من حولنا ، وخاصة جانبها المواجه لأعداء الله في تخوم الأرض وحدودها !!

يفسر لنا — أولاً — كيف استمات اليهود في إنشاء الأحزاب الشيوعية في بلادنا ، بل كان كبار أثريائهم هم الذين يمدونها بالمال ،

والتخطيط والمطبوعات ، ووسائل الإفساد من خمر ، ونساء فاحش .

ويفسر لنا — ثانياً — سر موجات الانحلال الحمومة التي تندفق على بلادنا عبر مخطط مرسوم يستخدم الأعمال الساقطة ، والمسرحيات الهابطة ، والأشرطة الماجنة ، و « الآداب » الخليعة كقصص الجنس ، ناهيك عن الصحافة المسحونة ، والأزياء المثيرة لأدنى الشهوات (تماماً كما تحدثت البروتوكولات الصهيونية) !!

ويفسر لنا — ثالثاً — قضايا غربية عسيرة الفهم مثل : الاستهزاء بعلماء الإسلام ، وإلغاء المحاكم الشرعية ، والإصرار على تعديل وتغيير قوانين الأحوال الشخصية ، وتطوير الأزهر لتفريغه من معناه الديني الإسلامي (١)

ثم يفسر لنا — رابعاً — تلك الضراوة الوحشية الفاحشة في معاملة الحركات الإسلامية ، التي تمثل رأس الخربة في قلب المخطط الشيطاني الزاحف ، في الوقت الذي تطلق فيه الحرية « للشبوعية » لتقوم بدور مرسوم في تهديم العقائد والأخلاق ، وتأصيل الإلحاد والفساد ، ولقطع الطريق على نبت الإسلام ، وإيجاد تيار فكري حركي يقارع التيار القرآني في أوساط الشباب !!

وطوال العقود الثلاثة الماضية دُوِّنت هذه المنطقة على عمد وإصرار ، وضربت بألوان من الزيف الاعتقادي ، والزيف الفكري ،

(١) راجع كتابنا « الغزو الفكري » ص ١٣٤ وما بعدها ، وقارن هذا كله بمخططات الهمم الإجرامية في « البروتوكولات » وقد أشرنا إلى بعضها في الفقرة رقم ٢٣ وما قبلها .

والتهريج الدعائى ، حتى لا تهتدى إلى طريقها الأصل ، ولا ترد القضية إلى إطارها الإسلامى المتفرد . !!

وبينما كانت الأسفار والإصحاحات — على بطلانها — تتلى فى الشاطئ الآخر ، ويتربى عليها إخوان القردة والخنازير من يهود ، كان « الإسلام » العظيم يعزل عن عمد ، وينحى عن الساحة فى ضراوة ، ويطارد فى الفكر والواقع كأنه وباء عاصف !!

ولذلك جاء حجم الهزيمة هائلاً ، رهيباً ، مخزياً ، كما قلنا . . . !!

ولكنه كان أبلغ دليل على أن الإسلام ضرورة حياة ، ومصير ، ووجود ، لهذه الأمة إن أرادت الحياة ، فضلاً عن كونه دين الله ومنهاجه لعباده !!

٢٩ — القفزة الرهيبة :

ولقد كانت القفزة الأخيرة على مصر ، عملاً مدروساً مرتباً ، يراد به استباق الحوادث ، واستكمال النتائج قبل أن يستفيق « الإسلاميون » من جديد تحت مطارق الأحداث الجسام ، فيأخذوا زمام الأمور والمبادأة بأيد قرآنية ، وحينئذ يضيع على اليهود جهد القرون ، وكيد الأجيال !!

ومن هنا :

سيعمل اليهود بكل قواهم لتوسيع الخرق الذى نقبوه فى

أسوارنا ، وسيكون همهم الأكبر هو التركيز على هدم قيم الإسلام
وبقاياه في الرؤوس والنفوس ، حتى تنطفئ تلك الجذوة الكامنة ،
والتي لا يخشى اليهود شيئاً قدر خشيتهم منها ، لأنها من نور الله عز
وجل !!

إن قضيتهم الكبرى — الآن — هي : كسر الحواجز ، وطمس
الآثار والمعالم التي أقامها القرآن العظيم في « نسيج النفسية الإسلامية »
عن اليهود ، حتى يفرغوا — في تصورهم — من معركتهم مع آخر
الأديان ، ولتقوم على أنقاض العالم كله « مملكة داود » ، التي تسخر
الأمميين لخدمة « الشعب المختار » ، على ما جاء في أضاليل التلمود
الحقود !!

٣٠ — الرؤية الصحيحة :

ومن ثم كان لزاماً علينا أن نرد « معركتنا مع اليهود » إلى
إطارها الصحيح ، والوحيد ، باعتبارها :

صدام مبادئ لا مصالح !

وصراع عقيدة ودين ، وليس عراك أقوام وأوطان !!

وقضية إيمان بالوحي الإلهي ، أو كفر عارم به . . !!

والفرق بين هذا وذاك هائل وعميق ، بقدر ما بين « القرآن
والتلمود » من فوارق الوسائل والأساليب ، والغايات والأهداف !!
لقد سحبت هذه المعركة — عمداً — إلى متاهات الألقاب ،
والأوصاف الفارغة ، والأسماء الخداعة من سياسية ، ووطنية ،

وقومية ، بل صوروها أحياناً بصورة المعركة الاقتصادية ،
أو الحضارية ، وكلما بليت كلمة في أشداقهم اخترعوا غيرها ،
استخفافاً بهذه الأمة ، وصرفاً للقضية عن وصفها الدينى الإسلامى
المتفرد !! !

ولذلك تاه الناس فى ضباب الشعارات الزائفة ، وخارت قواهم
عن مواصلة « الجهاد » فى سبيلها ، ما دامت بهذه السمات التى تقبل
المساومات ، والمفاوضات ، ولا تستوجب — بالضرورة — الجهاد ،
والاستشهاد ، شأنها إذا نظر إليها بمنظارها الصحيح ، ووضعت فى
ضوء القرآن العظيم ، واستمدت حيويتها الهائلة من تأثيره : أمراً
ونهيأ ، وبشيراً ونذيراً ، ووعداً ووعيداً ، وشرعة ومنهاجاً ، وتقديراً
وميزاناً ، ونوراً يهدى للتى هى أقوم . !! !

* * *

الفصل الثانی

اليهود في ميزان القرآن

« إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون »^(١)

- * قد جاءكم من الله نور .
- * الخصائص العامة لموقف القرآن :
- (العدل - الفيض - إعجاز التأقيت) .
- * سر قرآنى عجيب .
- * موقف القرآن المكى من اليهود :
- (الإجمال ، والتفصيل) .
- * الخلل الرهيب !
- * داء ولا شفاء !
- * أما بعد !
- * الموقف القرآنى الشامل .

(١) سورة النمل : ٧٦ .

٣١ — قد جاءكم من الله نور :

دأب اليهود على اتهام « الجويم » — غير اليهود — بالغفلة ،
والبلادة ، والعجز عن استشفاف المستقبل ، ووزن الأمور . . .
إلخ .

وهذه بداهة من غرور اليهود ، وأكاذيبهم ، وهم قوم بهت !!
ولكن إذا صح هذا — جدلاً — في أمم الأرض جميعاً فلا يصح
بالنسبة لنا نحن « المسلمين » بعد ما شرفنا الله تعالى بالقرآن ، وجعله
لنا نوراً نمشي به في الناس ، وتبياناً لكل شيء ، حتى « معركتنا مع
اليهود » الآن ، والتي لم تكن تخطر على بال أحد قبل ستين أو سبعين
سنة يوم طرد « خليفة المسلمين » رسل اليهود ، ورفض المساومة على
شبر واحد من أرض الإسلام^(١) .

وكما هو معلوم تأمر عليه أعداء الله ، ثم فتحوا لأنفسهم الطريق
إلى فلسطين بواسطة أدواتهم من « ملاحدة الأتراك ، أمثال مصطفى
كمال ، عدو الترك والإسلام^(٢) .

(١) راجع موقف السلطان « عبد الحميد » تجاه المؤامرة اليهودية ، والذي أشرنا إليه في
(هامش الفقرة رقم : ٣) .

وقارن هذا الموقف الإسلامي الشجاع بالمواقف الخائفة التي وقفها الملاحدة ،
و « العلمانيون » ، و « القوميون » ، و « الاشتراكيون » وأمثالهم لتعلم أن القضية
لا تحل إلا بالإسلام !

بل هي ما وصلت إلى الهاوية إلا في غيبة الإسلام ورجاله !
(٢) راجع الملاحظة الذكية التي ينقلها صاحب كتاب « حكومة العالم الخفية » ص ٤٥ :
« . . . ولم يكن نجاح حركة الأفعى لأن تركيا يحكمها العثمانيون ، وإنما يعود نجاحها
إلى دكتاتور تركيا الفعلي مصطفى كمال اليهودي المغول » !!

لقد جاء القرآن العظيم بحقائق ، وتفصيلات شاملة في هذا الباب ، تصل إلى الدرجة العليا من الإعجاز في هذه المعجزة الربانية الخالدة . فهو يكشف مكونات النفس اليهودية ، ويبلغ أعوارها الفكرية ، ويعرى أخلاقهم الرهيبة ، ووسائلهم الدنيئة ، ونوعيتهم المفرطة في التعقيد والالتواء ، المتشابهة في السوء عبر الأجيال !!

بل يرسم القرآن العظيم السبل الناهضة لعلاجهم ، وإبطال دسائسهم ويحدد الدواء الناجع لدائهم الويل !!

ثم هو يشن عليهم حملة واسعة النطاق والآفاق ، هي أكبر وأوسع مدى من يهود الجزيرة العربية ، بل من اليهود المعاصرين لنزوله ، ثم هي ذات دلالات وأبعاد أكبر من معركتهم مع الإسلام أول مرة !!

وما ذلك — والله تعالى أعلم بمراده — إلا لما سبق في علم الله عز وجل من عودتهم إلى « كُرَّة عالمية » من الإفساد في الأرض ، وأنه لا سبيل إلى دحض مؤامراتهم الخسيسة على البشر جميعاً إلا : « بقوة مؤمنة » موصولة الأسباب بوحى الله المحفوظ ، ومستظلة بلواء هذا الكتاب الغلاب !!

ومن هنا :

يأتى هذا الموقف القرآنى الشامل إرهاباً وتأسيساً لليوم الأكبر الذى ينفرد فيه أتباعه المخلصون بدحر أخطر مؤامرة تعرضت لها البشرية في تاريخها الطويل بعون الله وفضله :

﴿... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (١).

وفي الصفحات التالية — بإذن الله — بيان وتفصيل لهذا الإجمال
الانعام ، حيث يتصب القرآن العظيم الموارس القسط ، ليحقق الحق ،
ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون !!

٣٢ — الخصائص العامة لموقف القرآن :

والمأمل لحديث القرآن العظيم يلاحظ أموراً أساسية على غاية
الأهمية منها :

أولاً : العدل الرباني :

فالقرآن كلام رب العالمين ، الذي لا يظلم ولا يحالي ،
ولا يحقر ولا يخيف ، ولا يتصور لدى مؤمن صحيح الاعتقاد أن
يتسرب إليه شائبة عنصر ، أو شبهة خطأ ، أو تشويش انفعال
وغضب ، أو مملأة لقوم على قوم !!

فهو برىء من كل ما صور به بنو إسرائيل إلههم (يهوه) ،
وكلامه ، وأفعاله التي حشوا بها الأسفار والتلمود ، ونسبوها لله رب
العالمين عز وجل !!

(١) سورة الطلاق : ٣ .

ومن هنا :

● نجد القرآن العظيم — تارة — يشنى على بعض بنى إسرائيل ثناءً عظيماً ، ويبلغ بهم ذروة شاهقة من الرضا والتقدير كما قال تعالى :

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾
(الأعراف : ١٥٩) .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة : ٢٤) .

● ثم هو في معظم الأحيان تبلغ حملته عليهم حداً زهيباً من التقرير والتنديد ، والذم والتوبيخ ، بل ينصبهم القرآن أمثلة الدهر والتاريخ كله في الشقاق والنفاق ، والالتواء والمراء ، والغدر والكفر كما قال تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ * وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾
(المائدة : ٦٠ — ٦٣) .

ونعود فنذكر بأنه :

ينبغي للقارئ المسلم — دائماً — أن يتلقى كلمات الله عز وجل بما هي أهل له من الإجلال والإكرام ، والتأمل والفهم !
ومن الضروري هنا تأمل هذه الجملة الخطيرة من النقائص اليهودية التي سجلها عليهم القرآن العظيم لمن أراد أن يعرف حقيقتهم المظلمة مثل :

« لعنهم ، والغضب عليهم ، ومسحهم قردة وخنازير ، وعبادة الطاغوت ، والنفاق ، والمسارعة في الإثم والعدوان ، وأكل السحت » وكلها أخلاق تشيع فيهم ، وقد زينها لهم العتاة من الأحبار خاصة صناع التلمود بعد عصور أنبيائهم . . . إلخ .

والسبب في هذا الموقف القرآني هو الإنصاف التام !!
فالله تبارك وتعالى يعطي كل ذي حق حقه ، وكل ذي باطل ما يستحقه !!

فهو يمدحهم إن أحسنوا ، وأطاعوا ، واستقاموا على الطريقة ،
وقليل ما هم !!

وهو يذمهم إن عاندوا ، وشاقوا ، وقالوا كلمتهم النكراء التي لم تقلها مثلهم أمة في التاريخ : « سمعنا وعصينا » !!

وتبلغ درجة القرآن في الحالين مبلغهم هم من الإحسان أو السوء ، ولا يظلم ربك أحدا !!

بل كان من تمام عدل الله تعالى أنه دائماً يستثنى منهم القلة الصالحة
— على ندرتها — كما قال تعالى في الآيات السابقة « وترى كثيراً منهم
يسارعون في الإثم والعدوان » .

وكما قال تعالى :

﴿ . . . وَلَا تَرَأَى عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً
مِّنْهُمْ . . . ﴾ (المائدة : ١٣) .

ومن هنا أيضاً :

فلا يخدع أحد بمدح القرآن العظيم لبعض بنى إسرائيل في فترة
ما ، أو في حال ما ، فإن ذلك مقيد بطاعة الله ، ورسله عليهم
السلام !

وإنما أردنا التنبيه على هذا الأمر بذاته ، لأنى أتوقع يقيناً بأن
اليهود ومحترفي الفتاوى (من عبید المال والسلطان) سيتخذون أمثال
هذه الآيات الكريمة وسيلة لخداع المسلمين تزيفاً لموقف القرآن
الصارم من عبدة العجل ، وقتلة الأنبياء ، وأكلة الربا . . ! !

ثانياً : الفيض القرآنى :

فالمتتبع للدراسة « المعضلة اليهودية » في ضوء القرآن الكريم
يلاحظ أنه لم يعالجها متعجلاً في نص أو نصين ، وإنما جاء فيها بفيض
زاخر ، يتناولها من أقطارها ، ويكشف كل خباياها وأبعادها التي
يحتاجها المسلمون لمعرفة أعداء الله ورسله وكتبه ! !

ولذلك كان الحديث عن بنى إسرائيل فى القرآن الكريم من أكثر المسائل نصوصاً بعد العقائد ، ومن أشد المواقف القرآنية وضوحاً وتفصيلاً وحسماً .

لقد تحدث عنهم القرآن العظيم فى المكى منه والمدنى على سواء ، وفى السبع الطوال وما بعدها من المثانى والمئين ، والمفصل ، وتناولهم بالآية المفردة ، وبالجملة المتصلة من الآيات ، وفى تاريخهم الأول ، والمتكرر حتى عهد النبى الخاتم محمد ﷺ ، بل تحدث عما سبأى من أحوالهم بعده باعتبارهم أمة واحدة فى الضلالة والبهتان ، تعمل على شاكلتها دائماً كما نهنا على ذلك مراراً ، وكما قال عز شأنه :

﴿ ... وَالَّذى حُبِّتْ لَأَیْخُرْجَ إِلَّا نَكِداً ... ﴾

(الأعراف : ٥٨) .

(وسبأى تفصیل ذلك إن شاء الله تعالى) .

ثالثاً : التوقیت المعجز :

ذلك لأن القرآن العظيم بدأ فى وقت مبكر من « العهد المكى » يهتك أستار اليهودية ، ويضع بين أيدي المسلمين « مفاتيح هذه النفسية » المعقدة ، ويلفت أنظارهم إلى تأصل الانحراف والتحريف فى أعماقها ، ويكشف لهم مساوىء التاريخ الإسرائيلى المشين !

فى هذا العهد كان المسلمون مستضعفين فى الأرض ، يخافون أن يتخطفهم الناس ، بل كانوا عرضة دائمة للتعذيب ، والمطاردة ، ومصادرة الاعتقاد والأرزاق ، وترك الديار والأموال فراراً بدينهم من الفتنة العارمة !

فكانت دواعي المصلحة — في تقديرنا البشري القاصر —
توجب تأجيل الهجوم على « اليهود » ، ويكتفى بذكر بعض جوانبهم
الطيبة في الصبر والثبات ليتأسى بهم الرعيل الأول من المسلمين في
« مرحلة التكوين » والتأسيس الأولى !

ومن جانب آخر لم يكن للمسلمين احتكاك فكري أو مكاني
مع اليهود ، فيقوم مبرراً لهذا النقد العنيف ، أو سبباً في إشعال
شرارته !! فكانت دواعي المصلحة — مرة أخرى — في عدم فتح
« جبهة عداوة » جديدة على المسلمين ، في وقت هم أغنى الناس عن
هذا بما هم فيه من المحنة والتعذيب والتكذيب !!

بل هم أحوج الناس إلى جمع العواطف والقلوب حولهم يومئذ ،
وخاصة من اليهود بما لهم من ثقل مادي وأدبي بين الأميين ،
باعتبارهم أهل الكتاب الأول ، وأصحاب المال والحصون ، وأوفر
الجاهليات الدينية عدداً وعدة !!

ولكن القرآن تنزيل من العلى الأعلى .

وهو الأعلم ، والأحكم ، وقد أحاط بكل شيء خبراً ، ومن ثم
خالف تقديرات البشر ، وأخذ يندد باليهود تنديداً عنيفاً من أوائل
الطريق . !!

٣٣ — سر قرآني عجيب :

وأرى وراء هذه المباكرة العنيفة سراً من أسرار الإعجاز في

القرآن العظيم ، خلاصته والله أعلم بمراده وأسرار كتابه :

أولاً : تربية الأمة الجديدة التى تتكون ، والتى ستحمل أمانة الوحي فى الأرض ، وإيقاظ مشاعرها ، وغرس كل معانى « النفور » من التحريف والعصيان فى وجدانها ، حتى لا تضل كما ضل بنو إسرائيل ، ولا تشرذم بالقافلة البشرية كما شردوا ، ولا تجنى على جلال الوحي الإلهي كما جنى عباد العجل ، ومحتكرو الدين !

ثانياً : التمهيد للمرحلة المقبلة من عداء اليهود للإسلام ، والتى كانت غيباً محضاً فى علم الله عز وجل ، لا يعلمها النبى ﷺ ، ولا أحد من المؤمنين حوله ، بل ولا يتصورونها .

وبذلك قطع القرآن العظيم الطريق على اليهود — وهم قوم بهت (١) — فلم يستطيعوا بعد الهجرة أن يتقولوا على النبى ﷺ أنه كان يمدحهم فى مكة ، ثم هاجمهم فى المدينة لخلافهم معه !!

ثالثاً : بيان أن هذه القضية من قضايا الاعتقاد والامتداد ، وليست من القضايا المرحلية التى تنتهى بانتهاء ظروفها وملابساتها ، إذ المسألة تتعلق بإصرار اليهود إصراراً نهائياً على تحريف الوحي الإلهي

(١) قال ذلك حرهم « عبد الله بن سلام » الذى هداه الله للإسلام ، وبهت جمع بهوت كصبور وصبر (يسكون الهاء وضمها) ، والبهوت الذى يكثر التقول على غيره بما لم يفعل (راجع قصة إسلام عبد الله : سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٦٣) .
والقصة أخرجها البخارى : كتاب التفسير ، باب قوله من كان عدواً لجبريل ج ٥ ص ١٤٨ ، وفى مواضع أخرى من صحيحه . وانظر شرحها فى « فتح البارى » ج ٨ ص ١٦٥ حديث رقم (٤٤٨٠) .

تحريراً مطلقاً ، وطمس العقائد والأخلاق ، تحت شعار خطير بنسبتها
إلى الله عز وجل وإلى رسله الأكرمين !!

ومن هنا تأتى حملة القرآن عليهم فى مرحلة التكوين والتأسيس
المكبة لتكون « تأسيساً » لمعنى دينى عميق فى « النفسية الإسلامية »
تجاه اليهود ، فلا يصدقوا لهم قولاً ، ولا يأمنوا لهم جانباً ، بل يكونوا
على أرقى حذر منهم دائماً ، وقد علموا من تاريخهم كيف استضعفوا
أنبياءهم ، وأتبعوا رسلهم ، وتطاولوا على ربهم ، وعبدوا العجل ،
وفجروا فى الأرض . . . !!

نقد أراد القرآن أن يمزج هذه المعانى مزجاً فى مشاعر
المسلم ، وأن يصيغ بها نسيج النفسية الإسلامية بالنسبة إلى اليهود
خاصة ، لتظل ثابتة مستمرة المدى استمرار اليهود على طريقتهم
العوجاء ، التى لا يتحولون عنها أبداً عبر الأجيال ، وفى جميع
الظروف . . . !

وهذا ضرب من إعجاز القرآن ، يتبدى للناس فى هذا الزمان ،
وينهض فى أوانه ليعمل عمله — بإذن الله — فى تاريخ الأرض ، وواقع
الحياة ، وتوجيه الأحداث ، كما أدى هذا الدور أول مرة .

ونعود فنذكر « بالمحور الثابت » الذى يدور عليه هذا البحث :
من أن اليهود هم المسئولون اليوم عن إفساد العالم ، وإغراقه فى لجة
الانحلال الجنسى ، وتسعير شهواته ، وتدمير أخلاقه ، ومعتقداته ،
ولم تعد فى الأرض من قوة تكون مرشحة لمصادمتهم — فى معركة
الوجود ، وتنازع البقاء — إلا قوة مؤمنة تنبعث من تعاليم هذا

الكتاب الغلاب .

ويوم يبلغ الكتاب أجله سيعلم الناس جميعاً أنه لا سبيل إلى نجاة
الشريعة إلا تحت لوائه ، وعلى ضوء أنواره الربانية الهادية :

﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ
الكَافِرِينَ - لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُطْلِيَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾
(الأنفال : ٧ ، ٨) .

٣٤ - موقف القرآن المكي من يهود :

أفاض القرآن العظيم في الحديث عن بني إسرائيل طوال العهد
المكي . رآهم دائماً كأن يتناوهم في كل موقف بما يستحقون .

فهو ينسى على صالحهم ثناء حسناً في كثير من الآيات المكية ، كما
قال تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
يُوقِنُونَ . (السجدة : ٢٤) .

بل إنه لم يرضى شهادة الصالحين من علمائهم ، ويجعلها علامة
على صدق القرآن ، والنبي ﷺ ، توصلاً إلى إقناع الأميين الذين
كانوا يسلمون لأهل الكتاب بتقدمهم عليهم في العلم ، ومعرفة التاريخ
الديني ، قال تعالى :

﴿ وَإِنَّ أَوَّلَ زُمْرٍ الْأَوَّلِينَ . أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء : ١٩٦ - ١٩٧) .

، كما قدمنا ليس بعجيب أن يختار القرآن جانب بنى إسرائيل الصالح من الصبر ، والثبات ، والتضحية ، ونحوها ليتأسى به الرعيل الأول في فترة التكوين .

وإنما العجيب أن يتناول الجانب المظلم فيهم بهذه الكثرة من التفصيل والتأكيد .

ولما كان جمهورهم — في كل العصور — يغلب عليهم الزيف ، المشاقة ، والنفاق ، والكفر تتبعهم القرآن العظيم في مواطن العلل المتتابعة من تاريخهم المشين !!

كان بنو إسرائيل قد وطنوا لأنفسهم مركزاً ممتازاً بين الأميين من العرب بأميرين :

الأول : الجانب الأدبي الفكري حيث ألقوا في روع الأميين دائماً أنهم أهل الدين والعلم والكتاب الأول ، وأبناء الأنبياء ، وأصحاب المعرفة والثقافة . . إلخ .

وكانت هذه حقائق أريد بها باطل ، فقد اتخذها اليهود وسيلة للاستعلاء على العرب ، والسيطرة على شؤونهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً !!

ثم كانت هذه أيضاً حقائق مبتورة ، غاب عنها جانبها الخطير من قتل للأنبياء ، وكفر بالله ، وإفساد في الأرض ، واحتراف للتحريف والتزييف !!

وهذا ما كتبه اليهود عن العرب تماماً ، لتظل صورتهم زاهية

مهرجة تعشى أعين الأميين الجهال !!

الثانى : الحيل والدسائس ، وأساليب الختل والغدر ، والتفريق
والوقعة التى مرد عليها اليهود فى كل أجيالهم !

وقد استخدموا الجانب الدينى نفسه لخدمة هذه الحيل ، ولم
يقصدوا قط إلى إرشاد الأميين إلى دين الله عز وجل ، لأن اليهود
كانوا منذ قرون خلت قد حرفوا الدين ، وطمسوا أعلام الحق ، ثم
احتكروه لأنفسهم من دون الناس أجمعين كما هو معلوم مقرر فى
تاريخهم !!

ومن هنا :

نجد القرآن العظيم يعاجل اليهود بطمس هذه الصورة المهرجة
التي غرسوها فى وجدان الأميين ، ويضع — من أول الطريق — بين
أيدى المؤمنين حقائق هذه « الشخصية » المتائلة عبر الأجيال ، ويقص
عليهم من تاريخهم الشواهد والأدلة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَى
بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة النمل : ٧٥ — ٧٧) .

ومن المفيد تأمل هذه الآيات الكريمة جيداً :

فالآية الأولى تقر علمه تعالى بكل غائبة فى الوجود ، وبذلك
قطعت على بنى إسرائيل لجاحهم المعهود فى إنكار كل شئ لا يرضى
أهواءهم ، أو يختلفون فيه !!

وهي تقرر في نفس الوقت للمؤمنين نوعية ما سيقصه عليهم القرآن ، وأنه الحق المبين .

والآية الثالثة تبين أن القرآن فيه الهدى والرحمة للمؤمنين حين يفهمون عنه ، ويأخذون منه فينقذهم مما أوقعه بنو إسرائيل من ضروب الاختلاف والاختلاق ، والتدليس والتلبيس في دين الله عز وجل !!

أى أنه هو وحده — إذا تبست السبل — الهدى والرحمة للمؤمنين ، والمخرج الأمين مما هم فيه من ظلمات وفتن !!

ويدخل في ذلك دخولاً أولياً (مهركتنا مع بني إسرائيل)
لارتباط السباق والحقاق بهم !!

وسنرى — بإذن الله — مصداق هذه الكلمات في بحثنا هذا
أجلى من الشمس في رابعة النهار !!

أما « أكثر الذى هم فيه يختلفون » ، فقد ذكره في القرآن في سور شتى : تارة على سبيل (الإجمال) الصريح في دلالة ، أو الدقيق في إشارته . وتارة على سبيل (التفصيل) الذى يتبع الوقائع والأضاليل ، بالكشف والتحليل ، بل وبالتحديد الذى يصل أحيانا إلى ذكر الأسماء والأزمان !!

وسنبين هذين الأمرين بإيجاز :

٣٥ — أولاً : سبيل الإجمال :

لا أريد هنا الاستقصاء والاستيعاب ، وإنما أذكر ما يكفي لبيان

المقصود من الأمثلة في القرآن المكي :

١ - في سورة (الأنعام) يذكر ما حرمه على اليهود جزاء ظلمهم
وطغيانهم :

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا
أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِغَلْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَعْثِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَإِنْ
كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ
الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١٤٦ ، ١٤٧) .

والآية الثانية تشير إلى خصلة اليهود الدائمة حين يسارعون بإنكار
شناعاتهم ، وتكذيب غيرهم ، وقد فعلوا ذلك بعد الهجرة فعلاً ،
وتماروا بالحق الذي جاءهم !!

وما أبلغ كلمات القرآن في حسم هذا اللجاج القبيح ، حيث
يؤكد خبر التحريم بجملة تضم جملة وافية من أساليب التأكيد ،
فيقول جل شأنه :

﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (١) .

٢ - وفي سورة (النحل) يعود القرآن لبيان هذه المسألة
وسببها : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا

(١) في هذه الجملة مؤكدات بعدد حروفها تقريباً ، ومن هذه المؤكدات :

القسم المحلوف ، وإن ، وضمير العظمة (نا) ، واللام ، واسمية الجملة ، وصيغة
الجمع (صَادِقُونَ) ، فضلاً عن مدلول الجملة ذاتها ، وصفة قائلها جل شأنه !

ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ .

٣ - وفي سورة (يونس) يختم الحديث التاريخي عنهم بجملة ذات دلالة غريبة في أحوال الأمم وشئون الاجتماع :

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صَدَقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٩٣) .

فهم كانوا متحدين ولو على ضلالة ، فلما جاءهم العلم والهدى والبيانات تفسخوا واختلفوا وتلاطموا !!

وهذه إحدى معضلات اليهود ، التي عكسوا بها المعهود في الأمم والشعوب !! إذ كيف تتحد أمة على الضلالة ، وتجتمع صفوفها مع الجهالة ؟ ! فإذا أعطيت أسباب الهدى ، وعلمت ما لم تكن تعلم تخبطت واختلفت ؟ !

كانهم رزئوا بما يناقض هواهم ، ويناهض خطتهم العوجاء ؟ ! أو لكانهم فتنوا « بداهية » العلم والهداية ، فعادوا بعدها أوزاعاً متفرقين ؟ !

٤ - وتأتي سورة (الجاثية) فتذكر هذا ، وتركز على بيان السبب الخطير وراء هذا الموقف الغريب ، وأنه يعود إلى نفسيتهم اللئيمة ، القائمة على الحقد والحسد ، والبغى والأنانية ، وحب التسلط :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ

مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ
فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا يَنْهَمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿ (الجاثية : ١٦ ،
١٧) .

وانظر إلى عرض القرآن للعديد من النعم الجليلة التي منحت
لهم ، والتي قوبلت بأسوأ ألوان الكفران والبغى ، بما لا تتسع الدنيا
للجزاء عليه ، بل الساعة موعدهم وهى أدهى وأمر !!

٥ - وفى أول سورة (مريم) يشير القرآن إشارة صارمة إلى
هذه النفسية اليهودية الهوجاء على لسان زكريا عليه السلام ، وقد أهمه
الكبر ، وانخرام العمر ، وعدم وجود داعية صدق يقوم بعده على أمر
الدين فى هذا الشعب الجهول ، فيقول عليه السلام فى مناجاة مولاه :
﴿ وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِن وَرَائِى . . . ﴾ .

يقصد أهله من بنى إسرائيل ، الذين يخافهم على إفساد الأمر من
بعده ، وقد صح ما توقعه عليه السلام وزيادة ، فقد عصفوا به فى
حياته ، وقتلوا وليه من بعده ، ابنه النبی الطاهر الكريم يحى عليه
السلام :

٦ - وفى سورة (الإسراء) يذكر جل شأنه دأب بنى إسرائيل
فى الإفساد ، ثم القمع الإلهى المتكرر عليهم بذنوبهم :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ

عِبَادًا لَنَا أُولَى بِأُسْ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا
مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ
فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْوَءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا
الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا غَلَوْا تَبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ
أَنْ يُرَحِمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا * وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْنَيْنَا لَهُمْ غَنَابًا يَمِينًا * (٢ - ١٠) .

وهذه الآيات الحكيمه ، التي تحدثت عن اليهود قبل الصدام معهم
بسنين ، لجديرة بغاية التأمل والتدبر .

وقد فسرت بأنها حديث عن تاريخ بني إسرائيل السابق على
الإسلام والمراد (بالكتاب) التوراة .

وهذا محتمل ، ودلالته واضحة في كشف مساوئ بني إسرائيل
التاريخية .

ولكن بعض المحققين من المفسرين يرون أن المراد (بالكتاب)
القرآن الكريم ، فتكون الآيات إخباراً بالغيب عن مستقبل
الأحداث ، ودليلهم :

(أ) أن إفساد بني إسرائيل ، وتسليط الأعداء عليهم في الماضي
لا ينحصر في « مرتين » وإنما تكرر كثيراً في كل أدوار تاريخهم
تقريباً ! .

(ب) ولأن لا يوجد دليل واحد صحيح يقطع بصرف الآيات إلى حكاية التاريخ الماضي فقط (١).

وبناء على هذا تكون :

(المرة الأولى) من الإفساد هي ما حدث منهم في عهد النبي ﷺ ، وقد سلط الله عليهم المسلمين فجاسوا خلال الديار في المدينة ، وخيبر ، وفدك ، وتيماء ، وكل مكان لليهود !!

(والمرة الثانية) هي ما يفعلونه الآن بعد أن أصبحت لهم (الكثرة) على المسلمين العصاة المفرطين في دينهم ، وأمدوا بالأموال والبنين . . إلخ .

وهذه (الكثرة) عادت بهم إلى ضرب من الإفساد العالمي في الأرض كلها ، يربو على كل ما عرف عنهم من قبل ، وما تخفى صدورهم أكبر !!

ومن ثم فنحن في انتظار « الأمة المؤمنة » من عباد الله الصالحين الأشداء ، ليتحقق الوعد الإلهي الكريم ، ووعيده الصارم :

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِسُوءُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تُثِيرًا ﴾ .

ولهذه الأمة المرتقبة ، والقادمة على الطريق بإذن الله ، فصل

(١) حمل ابن كثير تفسير الآيات على الماضي وذكر غرائب في ذلك ثم قال : « وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها ، ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه لحاز كتابته وروايته ، والله أعلم » .

القرآن ونوع الحديث عن اليهود ، وأثار لها السبيل ، ومهد لها مهمتها الجليلة ، وبشرها بالأجر والنصر ، بقدر ما أُنذر المفسدين بالعذاب والقهر . .

ولعل المؤمنين لا تخفى عليهم الدلالة الرائعة لتعقيب الآيات كلها بذكر القرآن العظيم ، وهدايته ، وبشارته ، ونذارته ، ولنتأمل كلماته مرة أخرى فهي إيدان بليغ بأن القرآن هو الطريق المتفرد للفتح :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، وَيُنَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

٣٦ - ثانياً : سبيل التفصيل :

وفي سور أخرى مضى القرآن العظيم يقص التفاصيل عن تاريخ بني إسرائيل ، ويطيل الحديث عنهم على نمطه الجليل من الثناء على صالحهم أو التنديد بمفسديهم ، وكشف عورات تاريخهم التي أخفوها وزيفوها على الناس .

وسنعرض هنا ما جاء عنهم في سورة (الأعراف) .
وما يناسب المقام من سورة (طه) وهما سورتان مكيتان نزلتا قبل الهجرة ، وقبل الصدام الفكري والحربي مع اليهود !!

تستهل سورة (الأعراف) حديثها عن بني إسرائيل بموقف نبي الله موسى بن عمران من فرعون ، وثباته أمام جبروته ، ثم

عرضت مشاهد التحدى التى انتهت بسحرة فرعون إلى الخضوع
لسلطان المعجزة الإلهية القاهرة ، وخرّوا سجداً ، واستهانوا بتهديد
فرعون المرعب ، وصاروا مثلاً أعلى فى الثبات والصبر واليقين ! !

ثم تعرض السورة الكريمة تهديد فرعون لبنى إسرائيل ، وما قاله
موسى عليه السلام ليشيع فى قومه سكينه الإيمان ، وعزيمة اليقين فى
الله رب العالمين : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ آسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ
الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٨) .

وبرز السورة مشهداً من مشاهد الخور البادى على جمهورهم
حين يردون على نبيهم الكريم فى أسى وهلع : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ
أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ
وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٩) .

ثم تعرض السورة الكريمة مصداق هذا الوعد والرجاء فتذكر
الآيات البينات التى ساقها الله تعالى على فرعون وقومه تأديباً وتذكيراً
من السنين ، ونقص الثمرات ، والظوفان ، والجراد ، والقمل ،
والضفادع والدم . . ! !

إلى أن يأتى الميعاد فيرون بأعينهم مصرع الطاغية وجنده :
﴿ فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١٣٦) .

ولا ريب أن بنى إسرائيل عانوا من جور فرعون عذاباً أليماً ،
وصبروا صبراً طويلاً ، وما أجل القرآن حين يسجل لهم هذا الموقف

مذكراً بنعمة الله عليهم في ختام هذه المشاهد .

﴿ وَثُمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْخُسْفَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا
وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَفْرُسُونَ ﴾ (١٣٧) .

٣٧ - الخلل الرهيب :

إن آية واحدة من هذه الآيات كانت كافية لهداية أمة ، وإقناع
جيل ، فكيف بهذه السلسلة المتتابعة من القوارع الحارقة ،
والمعجزات الباهرة ؟ !

ولكن هذا الشعب « صُلب الرقية » ، « أغلف القلب » سريع
الزيف ، يقابل تنابع الآيات ببلادة الحس ، وانطماس الفهم ، وظلمة
الوجدان ! !

وآية ذلك ما عرضته السورة الكريمة بعد هذا مباشرة من
كوارث جيل شهد الوحى والمعجزات ، وعان الآيات المفصلات ،
وكفى بمشهدهم وهم يسلكون طريقاً في البحر ييساً ، والماء حولهم
كالطود العظيم ، وعلى الشاطئ الآخر يرون بأعينهم العزاء والجزاء ،
وتشتفى صدور المعذنين وهم يرون الطواغيت تطويعهم لجة الماء ! !

مشهد لا ينسى ... !

ونعمة لا تكفأ لشكرها !

ولكن قلوب بني إسرائيل كانت تهم في ليل بهم . وتشرذ في واد
سحيق ! !

فما كادوا يعبرون البحر ، والذكرى ماثلة ، والنعمة سابغة ،
حتى مروا على وثيين يهدون تماثيل نحاسية على صورة البقر — كما
يقول المفسرون — وحينئذ ارتدت مشاعرهم إلى وثية طامسة
دامسة : ﴿ وَجَاوَزْنَا بَيْنَىٰ إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَمْكُفُونَ
عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٣٨) .

والمراد وصفهم « بالجهالة النفسية » التي تدفع صاحبها إلى
الطيش ، والحمق والسفاهة مهما كانت النتائج ، وكذلك
بنو إسرائيل : « أشد خلق الله عناداً وجهلاً وتلوناً » (١) .

والإيمان ١١
وما كانوا يجهلون جلال الله عز وجل ونعمه تطوق أعناقهم ،
وتملأ حياتهم ١١

وبنفسى موسى عليه السلام وهو يرد عليهم فى أسى كظيم :
﴿ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أُنْفِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَإِذْ
الْحَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوءُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ . . . (الأعراف : ١٤٠ ، ١٤١) .

ونمضى السورة الكريمة مع مشهد آخر يبين أن هذه الوثنية لم
تكن « جهالة عابرة » ، أو « فلتة طائفة » خليقة بالستر والإغضاء
كأمثالها من الأخطاء ١١

(١) انظر « فتح القدير » للشوكاني فى تفسيره للآيات الكريمة .

ولمّا كانت « ظلمة غائرة » متأصلة الجذور في أعماق بني إسرائيل !

تقص السورة ذهاب موسى لميقات ربه ، واستخلافه على قومه أخاه النبي الكريم « هرون » ، وتسجل لفظاً له دلالة عجيبة في وصية موسى : ﴿ وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَثْمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِّمَّاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف : ١٤٢) .

ولنتأمل جيداً لفظ « المفسدين » ، وهو وصف ينطبق على اليهود من كل الوجوه ، ومن أقدم العصور إلى يومنا هذا ، وسنرى — إن شاء الله — كيف أطلقه القرآن عليهم مراراً وكأنه وصفهم المميز — مع كثرة المفسدين من غيرهم — لأن اليهود هم أئمة «الإفساد» وأقطابه بلا منازع !!

ومن إعجاز القرآن هنا حرصه على تحديد مدة الميقات (أربعين ليلة) وهي مدة بالغة القصر في عمر الأمم ، لا تكفى لانحراف جيل أو إفساد أمة !!

ورغم هذا انطلق الفساد عارماً في بني إسرائيل .

فغلب الطبع الكنود كل النذر ! !

وتمرد عاصفاً على كل الحيل ! !

كافراً بكل النعم والقيم ! !

لقد تراءى لحسهم الغليظ صورتان للإله المعبود :

العجل في مصر . . .

وأصنام البقر على الطريق !
ثم موسى — الذى زجرهم أول مرة — فى الميقات بعيداً
عنهم !!

وهرون الفصيح لا تغنى فصاحته شيئاً مع صلابة الرقبة !!

وهنا حدث ما قصته السورة الكريمة : (الأعراف) ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌّ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (١٤٨) .

وتسجل السورة أنهم أعلنوا ندمهم بعد فوات الأوان ، ورجوع موسى عليه السلام الذى توجه باللوم العنيف على أخيه ، وأخذ برأسه يحرقه إليه فصارحه هرون بحقيقة هذه الأمة العجيبة :

﴿ . . قَالَ آبِنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٥٠) .

وتأمل قوله « فلا تشمت بى الأعداء » لتعلم أن حقد هؤلاء القوم قديم رهيب ، لا يقف دونه شيء ، ولو كان خيرة أنبيائهم ، الذين أنقذوا بهم من المذلة والهوان !!

وتعرض سورة (طه) هذا المشهد بمزيد من التفصيل ، وتبرز الشناعة كالحجة محددة الأوصاف والأسماء ، والمنشأ والتنفيذ والإصرار والاستهتار : ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَتَنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ فأخرج لهم عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌّ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿ (٨٧ ، ٨٨) .

ثم تفيض السورة موقف « هرون » الواضح ، وتبرئة من صناعة ما نسب إليه بنو إسرائيل (١) ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿ (طه : ٩٠ ، ٩١) .

ثم تنتهي الآيات إلى تحقيق موسى مع « السامري » في هذه الضلالة الشنيعة ، والحكم عليه حكماً رادعاً ، وطمس آثار فتنته : ﴿ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُحْلِفَهُ وَآنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ (طه : ٩٧) .

٣٨ — داء ولا شفاء :

وهكذا انتهت هذه الفتنة العاصفة ، المتعلقة بلبس الاعتقاد ، فهل برئ بنو إسرائيل بعدها من الداء ؟ !
تمضي سورة (الأعراف المكية) في قضاء مساوىء هذا الشعب العصي ، فتبين أن موسى عليه السلام بعد أن أخذ الفتنة الوثنية ، وحرر بني إسرائيل من مهانة العجل « اختار سبعين رجلاً » من خاصة قومه ليجددوا التوبة والاعتذار عن عبادة العجل في ميقات ربه جل وعلا !!

(١) نسب الكذابين صناعة العجل إلى « هرون » عليه السلام (سفر الخروج — إصحاح ٣٢) والحمد لله رب العالمين الذي برأ رسله الأكرمين من دنس بنى إسرائيل !!

فإذا هؤلاء « المختارون » يرتكبون أمراً شنيعاً ، فيطلبون رؤية الله عز وجل جهرة ، أو نحو ذلك ، مما استنزل عليهم رجفة صاعقة ، فأخذ موسى يضرع إلى ربه في ذلة ليغفر لهم « المأساة » الجديدة ، ولما يعتذروا بعد عن سابقتها وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِيَّاي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تُشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَأَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (الأعراف : ١٥٥) .

ولنتأمل مرة أخرى الوصف العجيب الذى أطلقه عليهم أكبر أنبيائهم وهو وصف : « السفهاء » !!

وهو نفس الوصف الذى أطلقه عليهم القرآن العظيم فى العهد المدنى بعد أكثر من ٢٠ قرناً حين جادلوا فى تحويل القبلة فقال عنهم :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ ﴾ (البقرة : ١٤٢) .

وكانهم بذلك سلسلة واحدة متشابهة الحلقات ، مهما تباعدت الأزمنة أو تنوعت البيئات !!

والحق أننا نجد هذين الوصفين : (المفسدين ، والسفهاء) هما أخلق الألقاب ببنى إسرائيل إلى يومنا هذا ، بعد ما شردوا عن طريق الله المستقيم !!

ثم تتابع سورة (الأعراف) عرض شناعات بنى إسرائيل فى

عصورتی :

فذكر أهل الكتاب (من خلال دعوتهم للإيمان بمحمد ﷺ)
 بالتكاليف الشاقة ، والأحكام القاسية التي فرضت عليهم بظلمهم ،
 والتي ستوضع عنهم في دين اليسر الذي بعث به ﷺ : ﴿ الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
 التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
 الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ
 الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف : ١٥٧) .

ثم تسجل السورة الكريمة ألواناً من فيوض النعم التي أسبغها الله تعالى عليهم ، وتبرز كيف قابلوها بالجحود والكفران (وهم بعد لا يزالون في التيه) :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْحَجَرَ فَآبَحَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ
وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾
(الأعراف : ١٦٠) .

ولما أذن الله تعالى بخروجهم من التيه ، وانطلقوا إلى الأرض المقدسة أمرهم الله تعالى أن يسكنوا بيت المقدس أو أريحا ، وأباح لهم الطيبات ، وأمرهم بالدخول سجداً مع قولهم حطة^(١) ، ووعدهم

(١) المراد بالسجود: الخضوع والانحاء، إجلالاً للعمة الله عليهم، أو سجدة شكر عند الدخول.

والمراد بالحطة : دعاء بأن الله يحط عنهم الذنوب ويغفر لهم ، أو معناها قولوا لا إله إلا الله . وبكل قال المفسرون رحمهم الله .

بالمغفرة والفضل !!

ولكنهم في كل موطن لا يتقون ، بل يحرفون ويظلمون (١) .

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف : ١٦١ ، ١٦٢) .

وحين استقر بهم المقام ، وسكنوا القرى والحوضر ، استحلوا محارم الله بأدنى أو أدنى الحيل ، فاعتدوا في السبت الذي حرم عليهم ، وتهافوا أمام الاختبار الذي ابتلوا به لكثرة ذنوبهم وفسقهم ، وهذا ما سجلته السورة المكية تأكيداً للأغراض التي شرحتها (٢) من مباركة اليهود بالنديد والتقريع ، وفضح تاريخهم : ﴿وَسْتَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف : ١٦٣) .

ولا تفوت القرآن العظيم خطته الدائمة في العدل والإنصاف ،

(١) كان تحريفهم ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا : «حبة في شعرة » فخالفوا في القول والعمل جميعاً ، وفي رواية غير الشيخين : « قالوا حطة استهزاء » !!

(٢) قيل إن الآيات التالية مدنية ، ولا دليل على ذلك ، وظاهر النظم الجليل يوحى بوحدة السياق ، ومن ثم رجحنا مكيتها ، والله تعالى أعلم .

فيسجل للقلة الصالحة فضلها ، وما كتب لها من النجاة بفضل الله تعالى !!

ولكن الآيات الكريمة تسجل . موقفاً من أغلظ مواقف جمهرة اليهود ، لم يقبلوا فيه موعظة ولا تذكيراً ، ولم يرتدعوا فيه بنذر العذاب البئيس الذى أخذهم الله تعالى به !!

فكانت القاضية ، ومُسحوا على مكاتهم قردة صاعرين !!

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .

وسبحان الله العظيم !!

فأى قدر من وقاحة النفس ، وقساوة القلب ، وفظاعة الذنب هذا الذى أغضبه وهو الحليم الصبور ؟!

ولماذا لم يقع هذا فى غير اليهود على كثرة الخطايا والمذنبين فى الأولين والآخرين ؟!

إن المتأمل للآيات الست السابقة يجدها تسجل وتكرر على اليهود أوصاف : (الظلم ، والتبديل ، والاعتداء ، والفسق ، والتناسى استهانة بالحق ، والاستخفاف بنذر العذاب الشديد) !!

ثم تنتهى فى خاتمة المطاف إلى أظلم الأوصاف وهو (العتو) أى تجاوز الحد فى التمرد والاستكبار على أمر الله عز وجل !!

فكان الجزاء كفاء العمل ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم
الظالمين !!

وإذا تقررَت هذه المعاني وتمكنت في نفس المسلم ، تأتي الآية
التالية نداءً جهرياً ، وإعلاماً خطيراً بأن الله العادل ، الذي لا يظلم
مثقال ذرة سيعتق على بني إسرائيل من يسومهم سوء العذاب ، جيلاً
بعد جيل ، وإلى يوم القيامة ، ولنتأمل هذا الحكم الصارم :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
(الأعراف : ١٦٧) .

وهذا الإعلام الإلهي الرهيب ، المؤكد غاية التأكيد ، إيذان
بحقيقة خطيرة يلح القرآن على تقريرها في مواطن كثيرة وهي :

استواء أحيالهم في الظلم والفسوق ، والضلالة والعتو ، استواء
يجعل أولاهم وأخراهم في استحقاق العذاب على سواء ، فيبعث الله
تعالى عليهم من الأمم التي تبلى بأحقادهم من يروع أمنهم ، ويلبسهم
ثوب الذلة والصغار بما كسبت أيديهم ، جزاء وفاقاً !!

ثم تتحدث السورة الكريمة عن الشتات الصارم الذي ضربه الله
عليهم ، وتقلبهم في أفانين الشدة والرخاء رجاء أن يتذكروا ،
ويرجعوا إلى الطريق : ﴿ وَقَطَعْنَا هُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ
الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف : ١٦٨) .

ولكنهم زادوا ضلالاً في شتاتهم ، واتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله ، وابتدعوا في هذه الفترات ابتداءً خطيراً في دين الله عز وجل ، فكان الخلف أقسى من السلف ، إذ انكبوا على حطام الدنيا ، وأهملوا الدين والآخرة ، وزعموا لأنفسهم مبررات كاذبة لاستحلال « الأمم » ملاً ، ودماءً ، وأعراضاً — على ما ذكرنا — وادعوا على الله عز وجل دعوى خطيرة بأنه يغفر لهم كل خطيئة ، ونحو ذلك مما افتراه أحبار السوء من خلفاء السامري ، والذي تجسد في عقائد « التلمود » وأخلاقه ، وأضاليه فيما بعد ، تلك التي نسوا بها موثيق « التوراة » الغليظة ألا يفترخوا على الله عز وجل !!

وقد أشارت السورة الكريمة إلى هذا إشارات دقيقة معجزة في صدد التنديد باليهود في ذلك الوقت المبكر من العهد المكي :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ، أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ، وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٦٩) .

ومن المهم هنا تأمل الكلمات القرآنية الباهرة ، ذات المضامين الخافلة ، والمعاني المتعددة مثل قوله : « ورثوا الكتاب » فهي تفيد أنهم ضلوا على علم وهذا أشنع ألوانه ، أو تفيد أنهم أخذوا الكتاب « وراثته » رثت في نفوسهم عظمتها وجلالها . ومثل قوله : « الأدنى » بمعنى يأخذون « أقرب » ما يعرض لهم من متاع الدنيا ،

أو بمعنى « أدناً » ما يعرض لهم منها !!

ومثل قوله : « سيغفر لنا » بالبناء للمفعول تعبيراً عن عقيدتهم بأن الله تعالى سيغفر لهم لأنهم أبناؤه وأجباؤه ، أو لأن آباءهم وأسلافهم من الأنبياء سيشفعون لهم في زعمهم الفاسد !!

والآية الكريمة تسجل عليهم إصرارهم على نيل أعراض الدنيا بآية وسيلة حين تكرر هذا الأمر بعد دعوى المغفرة ، كما ذكرته قبلها !!

ولما كانت العلة الأساسية في هذا الضلال اليهودي كله هي الافتراء على الله تعالى ، ونسبة منكراتهم إلى الوحي ، خص الله هذه المسألة بذاتها من موثيق الكتاب :

﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ !!

ويأتى في ختام هذا قوله عز شأنه : « ودرسوا ما فيه » ليسجل عليهم أمرين :

أنهم درسوا ما في الكتاب ثم تجاهلوه عن عمد بعد العلم !
أو محوا ما فيه وغيروه وبدلوه عن عمد أيضاً ، وكل ذلك صادق عليهم ، وواقع في تاريخهم ، وهو مصدر انحرافهم قديماً وحديثاً على سواء !!

وفي ختام هذه الشناعات الإسرائيلية ، تعود سورة (الأعراف) المكية إلى جيلهم الأول مرة أخرى ، فتذكر تأييدهم المزعج عن قبول الشريعة التي من الله تعالى عليهم بها ، واستعصاءهم عن أخذها ،

حتى رفع فوقهم الطور وخيروا أمرين : الإبادة الشاملة ، أو أخذ
الشرعية كاملة !!

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ
خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
(الأعراف : ١٧١) .

والنتق هو الزعزعة والنقض ، واختيار هذا اللفظ يدل على مدى
عمق الشدة والصرامة التي عولج بها هذا الأمر ، وعلى مبلغهم هم من
المشاقة والعصيان ، الذي عادوا إليه (بعد هبوط الجبل) في ضراوة
عاتية ، هي أغرب وأفحش ما عرف في التاريخ الديني كله من
ضروب الجراءة والاستهتار^(١) !!

٣٩ — (أما بعد) :

فهذه عشر شناعات بالغة السوء^(٢) ، تقصها سورة (الأعراف
المكية) عن بنى إسرائيل ، وبهذا الأسلوب التقريعي الصارم ، وعلى
امتداد تاريخي واسع ، تعددت فيه أجيالهم ، وتشابهت فيه قلوبهم

(١) هذا المعنى مأخوذ من نص الآية المدنية التي شرحت ذلك فيما بعد ﴿ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا ..﴾ البقرة : ٩٣ .

(٢) هي عشر في العدد والإجمال ، وأكثر من ذلك كثيراً إذا لاحظنا التفصيل في كل
واحدة ، على ما نهينا عليه في مواطنه عند تناول الآيات الكريمة السابقة .

ثم بعد هذه الآيات مثل ضربه الله تعالى للذي انسلخ من آيات الله ، وتمثيله
بالكلب ! وقد رجعنا — بالدليل — أنه مثل ضرب لليهود ، وهو منطبق عليهم تماماً
(راجع هذا في هامش الفقرة رقم : ٦٢) .

وجرائمهم ، كل ذلك لتأسس في النفسية الإسلامية « حقيقة أصلية » عن اليهود ، تغدو بطول التكرار القرآنى إحدى مكونات الشخصية الإسلامية نفسياً ، وسلوكياً ، باعتبار هذه القضية — كما قلنا سابقاً — من قضايا (الاعتقاد والامتداد) ، لا من قضايا المراحل والظروف (١) ، وخاصة حين نلمح إصرار القرآن العظيم على تأصيلها وتفصيلها ، وإبرازها وتأكيدھا في فترة « التبرية ، والتكوين ، والتأسيس » !

وبذلك أيضاً طمس القرآن الصورة المبهجة التي رسمها اليهود لأنفسهم في أذهان الأميين بالكذب ، والتدليس ، ورنى في ضمير المسلم نفرة عارمة من أضاليلهم ، وتحريفهم !

وهذه آثار لها ما بعدها ، وبدايات ترتب عليها « الموقف القرآنى » الشامل من اليهود ، حين تمت الهجرة ، ووقع الصدام الفكرى والحرى بينهم وبين القرآن العظيم ، والنبى الذى بعث به ، والأمة التى قامت على أساسه !

وهذا ما سنعرضه في الصفحات التالية بإذن الله :

٤٠ — الموقف القرآنى الشامل :

لما هاجر النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة أصبحوا أمام اليهود وجهاً لوجه ، وكان القرآن العظيم قد زودهم بمعرفة صحيحة عن « الشخصية اليهودية » العاتية ، وأنها أصبحت بمعزل عن خط الوحي والنبوات !!

(١) راجع الفقرة رقم : ٣٣ .

ومن أوضح الكلمات في تقويم اليهود ، وفهم نفسيتهم وأحوالهم ما روى عن النبي ﷺ — في مطلع الهجرة — أنه سأل اليهود عن صيامهم يوم عاشوراء ، فقالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه ، فصامه موسى شكراً ، فنحن نصومه ، فقال ﷺ : « فنحن أحق وأولى بموسى منكم » فصامه وأمر بصيامه (١) .

وفي رواية البخارى : أن النبي ﷺ قال لأصحابه :

« أنتم أحق بموسى منهم فصوموا » .

ورغم هذا الفهم العميق ، والتقويم الواضح أحسن النبي ﷺ معاملتهم من باب الرجاء والأمل ، أو الإعذار إلى الله تعالى ، وقطع معاذيرهم ، أو على الأقل لتخف عقدة الضلالة المستحكمة في صدورهم ، لذلك حاول النبي ﷺ أن يستألف قلوبهم ، فعقد معهم معاهدة على غاية العدل والفضل ، وأحب موافقتهم فيما لم يؤمر فيه ، وصلى — بأمر الوحي — إلى قبلتهم في بيت المقدس . . . إلخ .

ولكن قلوب اليهود كانت تهيم في أودية أخرى منذ أجيال وقرون !

وإن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم !

واليهود لا يتغيرون إلا قليلاً منهم !

ومن ثم كانت قلوبهم تفور بالأحقاد والحسد ، خاصة وقد بعث

(١) رواه مسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما . وانظر تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٩٠ .

النبي من غيرهم ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولن تدوم مجاملتهم له طويلاً ، فإن الطبع غلاب ، والإصرار قائم !!

والقصة التالية أصدق تصوير لموقف اليهود ونفستهم الغربية :

عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب^(١) قالت :

كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي : حيي بن أخطب ، وعمي : أبو ياسر مغلسين ، فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس فأتيا كآلين ، كسلانين ، ساقطين ، يميشيان الهويني^(٢) ، قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلى واحد منهما . . .

قالت وسمعت عمي وهو يقول لأبي :
أهو هو ؟

قال : نعم والله !
قال : أتعرفه وتثبته ؟!

(١) حيي بن أبي أخطب زعيم بني النضير وحبرهم ، وقد ظل يؤجج العداوات ضد الإسلام بعد هزيمة قومه (في السنة الثالثة للهجرة) إلى أن قتل مع بني « قريظة » عقب خيانتهم الفاحشة للمسلمين في معركة الخندق (الأحزاب) ، و « صفية » تزوجها النبي ﷺ بعد فتح « خيبر » في السنة السابعة من الهجرة النبوية .

(٢) مغلسين : الغلس : ظلمة آخر الليل ، والكال : من الكلال وهو الإعياء والتعب : الهويني : التؤدة والضعف . (راجع القصة : سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٦٥) .

قال : نعم !

قال : فما في نفسك منه ؟ !

قال : عداوته والله ما بقيت ! !

فانظر إلى أى حد أثرت « العلة النفسية » في الكيان الجسدى

فهذته ، وكبلت خطاه ، وأصابته بالكلل والكسل ؟ !

وانظر إلى ضراوة هذه العلة كيف أججت أعماق الرجل بعداوة

طافحة دائمة من أول الطريق ، والنبي الأكرم على أبواب المدينة ، ولما

يدخلها ؟ !

وهذا هو موقف اليهود دائماً ، ولو تغير لأثار العجب ! !

لقد قتلوا أنبياءهم من قبل ، فهل يتورعون بعد عن شر وهم

يرون العرب يتحدون ، والأميين يسلمون ، والدولة الناشئة تقوى

كل يوم وتشتد ؟ !

ومن هنا اندلعت أحقادهم وانفجرت سراعاً ، فأثاروا حرباً

عاصفة من الجدل والشبهات ، والكيد والدس ، والتآمر والتحريض

على النبي ﷺ والمؤمنين ، حتى حالقوا المشركين ، ومن هم أشد

كفراً ونفاقاً من الأعراب الهائمين ، وانتهى الأمر بما هو معلوم من

الصدام الحربى ، وعلاجهم بالدواء الوحيد الناجع في معاملة السفهاء

المفسدين (١) ! !

ولم يكن الموقف مفاجئاً تماماً للمسلمين ، وخاصة المهاجرين

منهم ، لأن القرآن العظيم ، كان قد قرر لهم حقيقة اليهود ، وشناعات

تاريخهم ! !

(١) راجع في تفصيل هذا سيرة ابن هشام ، وكتاب « مكاييد يهودية عبر التاريخ » ص ٣٨

وإنما كان الموقف أليماً عصيباً إذ « ليس الخبر كالمعاينة »^(١) « وما راء كمن سمعا » وما كان المسلمون يتوقعون أن يروا كل هذه الأحقاد تمشي على الأرض ، وتسمى باسم : « أهل الكتاب » . . . ! !

وهنا أخذ القرآن العظيم يتنزل لمواجهة الواقع الجديد ، فيرد على دسائسهم ، ويكشف أضاليلهم ، ويعرى هذه النفسية العاتية تحت أضواء الحقائق الصارمة ، ويخاطب الأخلاف بجرائم الأسلاف ، كأحد جناتها ، وحاملي مسئوليتها ، ويذكرهم بنعمة الله عليهم ، وكفرانهم بها في كل جيل ، بل يرسم السبيل لائحة لفهم اليهود وكيفية التعامل معهم تعاملًا مؤثراً حاسماً ! !

وحديث القرآن هنا حديث شامل ، وهو أوسع مدى من يهود الجزيرة ، أو المعاصرين لنزوله .

لقد بدأ كما قلنا في العهد المكي قبل الخلاف والاحتكاك ، ثم حمى وتتابع في إبان الجدل والمعارك ، ثم استمر حتى بعد هزيمة اليهود ، وإسقاط قوتهم في شبه الجزيرة العربية^(٢) .

(١) جاء هذا في الحديث وأن موسى عليه السلام لم يلق الألواح إلا حين عاين عبادة العجل ، مع أن الله تعالى أخبره قبل ذلك فلم يلقها (راجع تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٤٨ الآية : ١٥٠ سورة الأعراف) .

(٢) كما في آيات سورة التوبة عن الجزيرة ، وعن بنوة عزيز ، واتخاذ الأبحار أرباباً لله ، وأكل الأبحار أموال الناس بالباطل (آيات : ٢٩ — ٣٤ من سورة التوبة) وهي في اليهود والنصارى جميعاً ، ولم يكن لليهود — حين نزول هذه الآيات — وجود في بلاد العرب إلا فلاحى خبير بعد هزيمتهم النهائية ! !

نعم كان القرآن يتنزل ليعالج أحداث الساعة — يومئذ — مع
يهود !! ولكنه مع ذلك وقبله وبعده كان يضع الأسس ويحدد
الخصائص ويبرز السمات اللصيقة ، ويرد المتفرقات إلى أصولها
وأسابيها ، ويكشف مداخل النفسية اليهودية ومخارجها ، ويسوق
للناس دلائل حكمه من وقائع التاريخ اليهودي القريب أو البعيد ،
وأكثره كان قد طمس ، وجهلت حوادثه ، واختلفت الآراء فيه
اختلافاً شديداً !!

وقد تفرد القرآن العظيم بهذا الحديث الشامل عن « المعضلة
اليهودية » واستخرج كما قلنا المقومات الثابتة والمشاركة في أعماق
هذه النفسية اليهودية ، والتي يمكن بمعرفتها استقراء مكنونات هذه
الشخصية المعقدة ، وفهم اتجاهاتها ، واستنباط ردود الفعل المتوقعة
منها ، لا من باب الكهانة والرجم بالغيب ، وإنما أخذاً من يقين هذه
الحقائق القرآنية ، التي أنزلت من لدن عالم الغيب والشهادة :

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
(الفرقان : ٦) .

وفي تقديرى — والله أعلم بمراده — أن هذا الأسلوب الشامل
في تناول اليهود لم يقصد به فقط حسم المعركة مع اليهود أول مرة ،
وإنما تضمن حقائق أوسع مدى ، لتكون ذخيرة للأجيال المؤمنة ،
تبيدى لهم في أوانها ، وتعمل عملها في وقتها ، أو بالتعبير القرآني
الجليل : ﴿ تَوْتَى أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (إبراهيم : ٢٥) .

وقد جاء اليوم أشراطها وأوانها ، بعد أن طوقتنا اليهودية العاتية ،
وأفلست كل النظم والدعاوى أمامها ، بل كانت هى الداء الذى
استشرت به اليهودية فى بلاد الإسلام ، ولم يعد أماننا من سبيل
إلا تعاليم القرآن العظيم لتكون لنا نبراساً حاضراً ، حين تمتد الأيدي
المؤمنة — فى حنادس الليل — تتحسس الطريق ، وتلتمس لحركتها
نوراً تمشى به فى الناس !!

ولهذه « **العصبة المؤمنة المرتقبة** » أنار القرآن الطريق ، ووضع
المعالم ، ونثر بين يديها « **مفاتيح** » هذا اللغز الأبدى الذى حارت
البرية فيه ، وعرى لها أسرار هذه النفسية اليهودية الرهيبة ، المتماثلة
الصفات والسمات ، المتشابهة القلوب والاتجاهات عبر الأجيال ، على
ما نبينه بإذن الله فى الصفحات التالية :

* * *

الفصل الثالث

مفاتيح النفسية اليهودية

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى
أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ
أَقْفَالُهَا (١)

- * المعنى والهدف ...
- * المفتاح الأول : الإلحاد المطلق .
- * المفتاح الثانى : قساوة القلوب .
- * المفتاح الثالث : احتراف التزييف .
- * المفتاح الرابع : الغدر والنقض .
- * المفتاح الخامس : غاية الحقد ...!
- * المفتاح السادس : الإفساد فى الأرض .
- * المفتاح السابع : الاستهانة بالقيم .
- * المفتاح الثامن : الاستعلاء العنصرى .
- * المفتاح التاسع : ملازمة الذلة والمسكنة .
- * المفتاح العاشر : تأصل الجبن .
- * المفتاح الحادى عشر : وحدة النفسية فى النقائص

٤١ - المعنى والهدف :

● نعى بهذه « المفاتيح » :

الحقائق والتقريرات الإلهية اليقينية ، التى سجلها القرآن عن « الشخصية اليهودية » عامة ، والتى تمثل خصائصهم الذاتية الثابتة ، ومقوماتهم النفسية المشتركة ، الملازمة لهم فى كل عصورهم ، لزوم شهوة وهوى واكتساب ، لا لزوم جيلة وإجبار !

● ومعرفة هذه « المفاتيح » ضرورة حتمية لفهم هذه الشخصية المعقدة ، وحل مغاليقها ، ونزع أطباق السرية التى تتغلف بها ، ثم نقض دعاوى الزيف والزيف التى انتحلتها واختلقتها ، واحتكرت بها الرب والدين ، والدنيا والآخرة من دون الناس ، وجعلت ذلك وحياً وديناً . . . !!

● وليس المقصود مجرد تقديم معرفة ثقافية أو تاريخية عن هذه الشخصية ، وإنما المقصود بتقديم هذه « المفاتيح » رسم منهاج للتعامل معها على بينة ، ولحسم مادة إفسادها على بصر بها ، ولإتقان مجابهتها إتقاناً يسقط معه كل خداع نفسى أو دينى ، بل وإغراء « المؤمنين » بافتحام هذه الشخصية المخربة ، وتطهير الأرض من ضلالها ، وردّها على أعقابها إيماناً بالله تعالى ، واحتساباً لوجهه الكريم ، وانصافاً لقضية الوحي والدين التى طمسوا آثارها الوضاعة ، ولبسوا على الناس معالمها وهداها . . . !!

وتلك هى المهمة الجليلة التى ندب الله تعالى المؤمنين لها !
ووضع بين أيديهم مفاتيحها ، خدمة لأهدافها العظمى !
وكأنى بالقرآن يهتف بالمؤمنين بعد ما تبين :

﴿ أَذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى
اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة المائدة : ٢٣) .

وبعد :

فهذه هى مفاتيح اليهود ، لمن أراد أن يأخذ من وحي السماء
نور الطريق ، وزاد المسير ، ولم نقصد إلى الحصر والاستيعاب ، وإنما
أردنا التنبيه على جوامع المسائل ، فنقول وبالله التوفيق :

٤٢ — المفتاح الأول : الإلحاد المطلق فى العقائد :

يدهش المؤمن غاية الدهشة حينما يقرأ شيئاً من كتب اليهود
الدينية (كآسفار التوراة وما دونها ، والتلمود) إذ يجد فيها تطاولاً
خطيراً على الله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وسائر عقائد
الدين !!

بل يصل الأمر باليهود إلى حد جسيم من بذاءة القول ، وشناعة
الاعتقاد ، لا يجرؤ عليه غيرهم ، وربما لم يصل إليه غلاة الملحدين ،
والمشركين !!

والقرآن العظيم يفصل لنا هذا الأمر ، ويجعله « رأس المفاتيح »
فى فهم الشخصية اليهودية ، وتفسير عقدة الضلالة العارمة التى
لازمت أجيالهم جميعاً !!

إن نسيح « النفسية اليهودية » مصبوغ بلون صارخ من الكفر والإلحاد في كل عقائد الدين الإلهي ، مهما توارى اليهود خلف دعاوى الإيمان ، وخدع التدين !!

لقد رأينا ماذا صنع جيلهم الأول من شناعات الكفر ، على حين كان يقودهم أجل أنبيائهم مثل موسى وهارون عليهما السلام !! وإلى يومنا هذا فهم أساتذة الإلحاد العالمي ، ومعلموه ، وناشروه ، ودعاته ، وفلاسفته المبتكرون !!

واليهود هم الذين لقنوا الفكر المعاصر كل نظريات الإلحاد والإفساد كفكرة تطور الأديان ، وأنها اختراع بشري ، حتى قالوا إن الله (تعالى شأنه) فكرة اخترعها الإنسان ، فالإنسان خالق الفكرة ، وليس مخلوقاً ، بل قالوا في جرأة وقحة « إن الله مات » (١) (تعالى ربنا عما يقولون علواً كبيراً) .

ويكاد العقل ينكر هذا ويرفضه ، لولا أن هذه حقيقة تاريخية متكررة ، وثابتة مؤكدة لا يستطيع اليهود إنكارها !!

ومن كان في شك فليسمع تقرير القرآن العظيم عن اليهود :

١ - في الكفر والتطاول على الله عز شأنه يقول عنهم :

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ . . . ﴾ (آل عمران : ١٨١) .

(١) كتاب « كيف نفهم اليهود » ص ٦١ .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا... ﴾ (المائدة : ٦٤) .

٢ — وفي وقاحتهم الدائمة مع رسلهم يقول عنهم :

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا كُلُّكُمْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (المائدة : ٧٠) .

﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة : ٨٧) .

ويلاحظ هنا استعمال أداة العموم والتكرار : (كلما) تعبيراً عن اطراد اليهود على التكذيب أو قتل الرسل إذا جاؤوهم بما لا تهوى أنفسهم الضالة !!

٣ — وفي استهانتهم واستخفافهم « بالنار » يقول عنهم :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمْسَسَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (آل عمران : ٢٤) .

٤ — وهم مع هذا كله يبلغ بهم الافتراء إلى حد احتكار « الجنة » لأنفسهم :

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة : ١١١) .

أى أن كل فريق منهم يزعم أن الجنة له خاصة !!

٥ - وفي تطاولهم على الملائكة يقول :

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾
(البقرة : ٩٧ ، ٩٨) .

والكلام مسوق رداً على اليهود حين زعموا أن جبريل عدو لهم !!

٦ - أما استخفافهم بالوحي والكتب الإلهية فهو دأبهم وغرامهم ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
(آل عمران : ٧٨) .

٤٣ - أصل الداء :

فإذا أدركنا هذا « المفتاح » في ظلمات المعضلة اليهودية ، انحلت لنا على الفور طلاسمها وألغازها التي تحير الألباب ، حيث كان سر انحرافهم الأساسي هو اختلال عقيدتهم ، فاختل — بعدها — في نفوسهم وسلوكهم كل شيء !!

وإذا ظهر السبب بطل العجب من سائر تصرفات اليهود في هذا الباب، والتي بلغوا فيها مبلغاً شنيعاً في مختلف أدوار تاريخهم ، حتى فضلوا وثنية قريش على التوحيد الخالص الذي جاء به محمد ﷺ ، وحتى حرصوا — غاية الحرص — على فتنة المؤمنين ، وأن يرجعوهم كفاراً يدحضون في حمأ الجاهلية ، وهذا أدناً موقف يقفه أقوام يفترض فيهم أنهم أهل الكتاب الأول ، وأصحاب دين ، وأتباع رسالة سماوية !!

ولذلك سجل القرآن العظيم عليهم هذه المواقف بعبارات قارعة صارمة تتناسب مع ثقل الجريمة :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۚ ﴾ (النساء : ٥١ ، ٥٢) .

ويقول تعالى :

﴿ وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۚ ﴾ (البقرة : ١٠٩) .

والنتيجة :

إن الانسياح والانفتاح على اليهود ، وإن اتخذهم أصدقاء أو أولياء أو حلفاء سيكون له تأثير واحد ، وفي طرف واحد دائماً :

إنه يعنى مزيداً من خلل الاعتقاد ، وسوء الإلحاد لمن خدع
بهم ، ثم اليهود على مكانتهم من الضلالة لا يتغيرون !!

٤٤ — الثانى : قسوة القلوب إلى حد الهمجية والوحشية :

فقد احترقوا الخطايا احترافاً ، حتى رانت الذنوب على قلوبهم
فأظلمت وانطمست ، ومن ثم اقتحمت كل ضروب الكفر وتهافتت
عليه ، ثم جعلته دينها ودينها ، وطال عليهم الأمد ، فى هذا الضلال
فتوارثته الأجيال !!

ولذلك أكثر القرآن العظيم فى بيان هذا الجانب ، وجاء فيه
بقوارع غاية فى الإيجاز والإعجاز ، لتلفت الأنظار ، وتنبه المؤمنين إلى
حقيقة هذا الشعب العصى الكنود ، قال تعالى :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (المائدة : ١٣) .

والقسوة : الصلابة ، واليبوسة ، وهى صفة ملازمة لليهود فى
بداوتهم ، وحضارتهم ، وإلى يومنا هذا مهما كانت درجاتهم من العلم
والثقافة ، أو الرقى المادى (١) !!

وقد ساق القرآن الكريم أصدق وصف للنفسية اليهودية ، وعلى
لسان اليهود أنفسهم ، وهم أدرى بشعابها المظلمة :

(١) لمعرفة الجرائم البالغة التى ارتكبتها اليهود مع شعب فلسطين حديثاً راجع كتاب :
« جهاد شعب فلسطين » ، و « الصهيونية والعنف » . وكتاب : « ملف إسرائيل »
لجارودى خاصة فصل : (وسائل إسرائيل) ص ١٧٩ وما بعدها .

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة : ٨٨) .

والقلب « الأغلف » هو المغطى بأغشية ثقيلة بحيث لا يعي ولا يفقه ولا ينفذ إليه شيء إلا ما أشربه من هواه !!

بل يصل القرآن العظيم إلى أغوار هذه النفسية الغائرة ، فيستخرج لنا من مكنوناتها أنكى درجات القساوة ، التي تزيد بها على الصخور العاتية جموداً وتحجراً ، فيقول مخاطباً اليهود خطاباً عاماً :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ... ﴾ (البقرة : ٧٤) .

وليست هذه الكلمات البينات مجرد صورة بلاغية مجازية لتصوير المعنى ، وتقريبه ، وإنما هي حقيقة واقعية يشهد على صدقها تاريخ اليهود قديماً وحديثاً ، وكفى بالله شهيداً !!

واليهودى إذا وجد الفرصة ، وأمن النعمة تفجرت قساوة قلبه على حقيقتها ، واندلعت على هيئتها التي وصف الله عز وجل : عمياء صماء ، تستخف بالحق ، وتقتل الأنبياء بغير حق ، وترجم الأميرين بالقسط من الناس ، وذلك موقف متكرر مطرد كما نبه القرآن مراراً :

﴿ كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا
وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾ (المائدة : ٧٠ ، ٧١) .

وماذا يتوقع أو ينتظر من قوم :

أقسى قلوباً من الحجارة ؟ !

غلف الأفتدة ؟ ! .

عمى وصم منذ آماذ طويلة ؟ !

ثم أعطاهم « التلمود » الحقود كل مبررات الوحشية
والضراوة ؟ !

وفلسف لهم أحبارهم العتاة كل ضروب الإلحاد والإفساد ؟ !

الحق أنه لا يجتنى من القتاد إلا الشوك ، وهذه معضلة
اليهود !! !

٤٥ — الثالث : احتراف التزييف والتحريف والجدل :

فاليهود مقدرة عارمة على تزييف الوقائع واحتلاقها ، وتحريف
الحقائق عن مواضعها ، حتى كأنها حرفة حياتهم ، أو سجية في
تركيبهم الخلقى والنفسى ، لا يستشعرون في مزاولتها ما يستشعره
غيرهم من لوم الضمير ، وتأنيب النفس ، إذ اليهود قد ماتت
مشاعرهم وقست قلوبهم !

وهذا مدخل بالغ الأهمية في فهم « الشخصية اليهودية » ،
وإتقان التعامل معها ، ومن ثم جلّاه القرآن العظيم بياناً ، وتعليماً ،

وتحذيراً للمؤمنين إلى يوم القيامة . . . ! !

﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . . . ﴾
(المائدة : ١٣) .

فهناك إذن ارتباط وثيق بين قسوة القلوب ، وبين هذا التحريف ! !

ويقول تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾
(المائدة : ٤١) .

والقرآن العظيم يحرص على بيان درجة التعمد في هذا العمل الخطير وأنه لا يجدى معه نذير أو تذكير (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) ؟ !

أنها أمة :

كافرة بالله والمرسلين . . . !

قاسية القلب ، ميتة الضمير !

تصنع الأكاذيب وتخر عليها صمّاً وعمياناً !

والقرآن العظيم يسجل هذه الحقائق لمن أراد أن يعقل عن ربه :
﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (سورة النساء : ٤٦) .

وإذا بقيت لدى بعض المؤمنين بقية من حسن الظن بيهود ، وطمعوا في تغيير أو تعديل مسلكهم التحريفي الخطير ، أو رجوا

هدايتهم ، فإن القرآن يقطع — في صرامة بالغة — خيالات هذا
الأمل البعيد الوقوع !!

إن الحقائق أكبر من الأمانى ، وإن أمل المؤمنين النبيل لن يغير
طبائع « الحيات أولاد الأفاعي »^(١) وعلى المؤمنين أن يعرفوا جيداً
« طبيعة النفسية اليهودية » بعدما تغلغت فيها الأحقاد إلى الأعماق ،
وسدت عليها الآفاق !!

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ
كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
(البقرة : ٧٥) .

فاليهود يحرفون كل شئ ، حتى ولو كان « كلام الله »
تعالى !! وهم لا يفعلون ذلك ناسين ، أو جاهلين ، وإنما يزاولون
التحريف^(٢) عامدين ، عالمين بخطورة وضراوة ما يفعلون !!

ولذلك أمعن اليهود في الفحش والافتراء على أئمة الأنبياء قبلهم
مثل : نوح ، وإبراهيم ، ولوط عليهم السلام !!

بل وصموا أعلام أنبيائهم — عليهم السلام — بكل منكر
وفاحشة مثل : موسى ، وداد ، وسليمان عليهم السلام !!

(١) نسب هذا القول إلى المسيح عيسى السلام وصفاً لليهود (إنجيل متى ، إصحاح ٢٣ ،
فقرة ٣٣) .

(٢) من أخطر ألوان التحريف اليهودي ما قاموا به من ترجمة أنجيل المسيحية وتحريفها في
أكثر من (٦٣٦) موضعاً !! (راجع في هذا كتاب : « إسرائيل حرفت
الأنجيل » ص ٣٧ وما بعدها) !!

وبهذه النفسية الفاحشة حشوا التوراة ، وسائر أسفارهم
« المقدسة » — فى زعمهم — بكل ضلالات الاعتقاد ، وشناعات
التشريع ، وموبقات الأخلاق ، وأساطير القصص والأخبار ، ونسبوا
ذلك إلى الوحي والأنبياء !!

٤٦ — الإسرائيليات :

وبذلك أصبح اليهود « علماء » متفرداً فى الضلالة والبهتان ،
وغدت كلمة « الإسرائيليات » عنواناً للأكاذيب ، والمفتريات
والأباطيل !!

ومن العجب أن يتسرب كثير من هرائها إلى ثقافة المسلمين ،
بل وصلت إلى تفسير القرآن العظيم ، حتى غص بظلمات هذه
« الإسرائيليات » وذلك حين غفل بعض المسلمين عن حقيقة
« النفسية اليهودية » ، وأبقوا لحسن الظن بقية فى بعض بنى إسرائيل ،
ناسين هذه الوصايا والتحذيرات القرآنية الصريحة الصارمة !!

٤٧ — التنديد « بالتلمود » :

ولقد بلغ اليهود مبلغهم النهائى فى الكذب والافتراء حين صنعوا
« التلمود » الذى تتصاعل بجانبه سائر أكاذيبهم فى أسفارهم
العلمية ... !!

والتأمل فى حملة القرآن العظيم على « التحريف اليهودى »
المزعج يجدها أوسع مدى ، وأشمل مدلولاً ، وأكثر رداً لقضايا تحريفية
لم ترد فى الأسفار الظاهرة — رغم شناعة ما فيها — مما يقطع (عند

المقارنة) بأن القرآن العظيم كان يتصدى لفضح أباطيل « التلمود » ،
والتنديد بمفترياته ، وتقريع عتاته وطواغيته الذين صنعوه بأيديهم ،
ولووا به ألسنتهم !!

ومن ذلك على سبيل المثال :

أولاً : التنديد القرآنى البالغ بأصل البدعة الخطيرة التى ركب
عليها « التلمود » اليهودى ، (من اختراع أسطورة التعاليم السرية ،
ونسبها إلى الوحي الإلهى ، ثم كتابتها والعكوف عليها . .) !!

وفى ذلك يقول تعالى أثناء سرد شناعات اليهود المتكررة :

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَ أُيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ
لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿ (البقرة : ٧٨ ، ٧٩) .

والآيتان الكريمتان تتحدثان عن أخبار اليهود ، فتصف بعضهم
« بالأمية » فى الدين ، وأن علمه بالكتاب الإلهى الحقيقى لا يعدو
(الأمانى) وهى الأكاذيب ، أو تمنيات النفس وتشهياتها ، أو مجرد
التلاوة بلا فهم ولا تدبر ، ومع هذا يتجرؤون على الله تعالى بالقول
فى دينه !!

وهذا ضربٌ من « الإعجاز القرآنى » حيث تنطبق هذه
الصفات تمام الانطباق على أخبارهم فى عصور الشتات والضياع التى
ضربت عليهم بذنوبهم ، والتى كتبوا فيها « الكتاب » المخترع
بأيديهم ، ثم نسبوه زوراً إلى الله سبحانه وتعالى !!

ثانياً : يندد القرآن العظيم بكل أضاليل هذا « التلمود »
المخترع ، وبوضايعه ومنفذه فيقول :

﴿ وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ
مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِيَدِينَ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ، ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَّقِينَ * إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ
لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ (سورة آل عمران : ٧٥ — ٧٧)

فالقرآن العظيم ينصف كعاداته ويقرر أن اليهود منهم الأمين (١) ،
ومنهم الخائن الذي يجحد أمانته إلا إذا قام صاحبها على رأس اليهودي
ملحاً ومطالباً ، وهذا الصنف موجود في كل الأمم ، ، فما سر
تخصيص اليهود ؟ !

هنا يكشف القرآن العظيم « سر اليهودية » الذي يمثل أفطع
جناياتها والذي انفردوا به من دون الناس ! !

لقد كانت جناية اليهود — دائماً — أنهم جعلوا الخيانة ،
والقتل ، والسرقه وسائر الموبقات ديناً ، ونسبوها إلى الوحي الإلهي ،
فصارت الجرائم قربات ، والمفاسد عبادات ، والكبائر والفواحش
ضرباً من ضروب التقوى ، أو في أقل الأحوال تصير حلالاً مباحاً

(١) هذا ظاهر سياق الآية الكريمة ، لأن الكلام في اليهود ، والصفات المذكورة هي
صفاتهم . وينقل الشوكاني عن عكرمة مولى ابن عباس أن المراد بقوله تعالى (يؤده
إليك) النصارى ، ويقول (لا يؤده) اليهود ، (فتح القدير ج ١ ص : ٣٥٤) ،

لا تقرب على اليهودى فى ارتكابه !!

لذلك يورد القرآن القاعدة اليهودية : « ليس علينا فى الأمين سبيل »^(١) ويتبعها بما يبرئ ساحة « الوحى » من هذا الدنس :
﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ ﴾ .

● ودعوى سقوط الإثم فى أكل مال الأغيار «-الأمين» بالباطل هى ضلالة وعقيدة تلمودية !!
● والتلاعب بالعهد هو دين (التلمود) ووصاياه الدائمة المظلمة !!

● والإصرار على استخدام الأيمان — كذباً — مع الأغيار هو من صلب تعاليم « التلمود » الحقوق^(٢) ، ولذلك بالغت الآية الثالثة فى استنكار الأمرين ، وتوعدت عليهما بأقسى العقوبات من الله تعالى :
﴿ أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

٤٨ — رأس الأفعى :

ولذلك تأتى الآية الرابعة هنا فتطرق على رأس الأفعى من أحبار

(١) سبيل : بمعنى الإثم ، واللوم هنا . و « الأمين » نسبة إلى « الأم » والمراد العرب الذين لا يكتبون ولا يحسبون ، أو نسبة إلى « الأمة » والمراد جميع الناس من سائر الأمم وهذا هو الألقب بمعانى القرآن ، وبحقيقة اليهود مع من يسمونهم (الجويم) أى الأغيار ، وهو لفظ عام يعنى غير اليهود مطلقاً .

(٢) راجع على سبيل المثال كتاب : « همجية التعاليم الصهيونية » فصل : (فساد الآداب اليهودية) وكتاب : « فضح التلمود » فى مواطن عديدة .

السوء ، الذين اختلقوا هذه التعاليم ، ونسبوها زيفاً لله رب العالمين !!

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران : ٧٨) .

وينبغي ملاحظة هذا التقرير والتفريع القرآني الصارم في نقض القاعدة الأساسية التي قامت عليها كل وصايا التحريف والتزييف !!

فالقرآن العظيم يؤكد على الكلمات بطريقة التكرار ، والإظهار في مقام الإضمار ، ويعيد المعنى المفهوم ضمناً باللفظ الصريح ، قطعاً لأى لبس في الفهم ، أو احتمال في البيان ، بل دحضاً لأى مباحكة أو جدال في هذا المقام الخطير من أحبار اليهود العتاة !!

إن القضية تتعلق بالدين كله ، وبكلمة الوحي العليا إلى البشر جميعاً ، وهى لبس اليهود على الناس طريقها ، وعموا عليهم سبيلها ، بل نقضوها نقضاً ويلاً ، وأتوا بنقائضها وأضدادها ، وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله !!

وهل لليهود في ذلك شائبة عذر أو تبرير ؟ !!

تحرص الآيات السابقة على بيان « القاعدة » التي صدرت عنها أفاعى بنى إسرائيل حاملة معها كل سموم الإفك « التلمودى » : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

ولنتأمل جيداً تكرارها في آيات البقرة : ٧٥ ، (٧٩ بالمعنى)
وآل عمران : ٧٥ ، ٧٨ .

فهذه « خصوصية إسرائيلية » ثابتة يقوم بها « خلفاء السامري »
في كل الأجيال ، متلبسين بكل صفات العمد ، والقصد ،
والإصرار ، وينسبون أكاذيبهم إلى الله العلي الأعلى ، وهم يعلمون «
الحقيقة المخزية :

« يعلمون » أنهم كاذبون ، ومحرفون ، ومفترون !!
« ويعلمون » أن هذا كله ليس على بشر مثلهم ، وإنما على رب
العزة والجلال !!

فهل بقى وراء ذلك شيء ؟ !
وهل وراء ذلك انتكاس أو ارتكاس ؟ !
وهل يصح — تصوراً — أن تقيم هذه الأفاعي وزناً للأحياء
والأشياء ؟ !

وهذه هي « حقيقة اليهودية التلمودية » معرأة من كل زيف ! !
ومن كان له أذنان للسمع فليسمع ! !
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ
وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾^(١) (سورة ق : ٣٧) .

(١) من إعجاز القرآن العظيم أنه تحدث عن لبّ مضامين « التلمود » وأضاليله ، وهي
حقائق ثابتة في النفسية اليهودية قبل تدوين التلمود وبعده على سواء . ولكنه لم يذكر
« التلمود » باسمه هذا ، بل عبر عنه باسم « الكتاب » المفترى المخترع (يكتبون =

٤٩- الجدل العقيم :

وقد اشتهر اليهود من قديم بغاية الجدل والمماحكة ، ولجاجة القول ، وسوء المراجعات حتى ذهبوا مثلاً بين الناس في هذا الباب !! !

وكانت حرفة التزييف فيهم أحد الأسباب التي أضمرت فيهم هذه الخصلة الذميمة ، وأشعلت أوارها ، حتى صارت عاداتهم الراسخة ، فهم يجادلون بالحق أو بالباطل ، ويجادلون أنبياءهم وصالحهم ، ويجادلون في أمر الله عز وجل وفي كتبه . . . !!
ومن العجيب أنهم ينقادون في السوء ، وتقل مجادلتهم لأخبارهم فيه ، بل هم كما قال القرآن :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ . . . ﴾

(التوبة : ٣١) .

وربوبة الأخبار مقررة في صلب التعاليم التلمودية ، ولهذا نجد القرآن العظيم يعبر عن طاعتهم للأخبار في الضلال بصيغة المبالغة :

= الكتاب بأيديهم . . .) ، ومن أسباب ذلك والله أعلم :

أولاً : جرى القرآن على طريقته الفذة في الاحتفال بالمعاني والمدلولات أكثر من الاحتفال بالألفاظ والأسماء التي قد يختلف فيها الناس ، أو ينكرها بعضهم لجهلهم بها ، ولا كذلك المعاني .

ثانياً : « التلمود » باسمه هذا كان مجهولاً عند جمهور اليهود بله الناس ، وكان في أيدي أخبار السوء فقط ، لأنه لم يؤلف إلا بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، فخطب القرآن الناس بما يعلمون ويفهمون من معاني « التلمود » التي ذكرناها ، وركز على هدمها ، وهدم سلطة « الأخبار والرهبان » وأمثالها من المفسدين .

﴿ وَمَنْ آذَيْنَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (المائدة : ٤١) .

وقد أورد القرآن العظيم قصة مجادلهم في البقرة مثلاً على هذا اللجاج العجيب ، مع أن موسى عليه السلام قد أسند الأمر صريحاً إلى الله عز شأنه :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤاً ﴾ (سورة البقرة : ٦٧) .

٥٠ - سر قرآني عجيب :

وقد يعجب الإنسان من تسمية أطول سور القرآن ، وسنامه ، وأولى الزهراوين باسم « البقرة » مع أن في السورة ما هو أعجب منها في باب القصص ، وما هو أجل منها في باب الأحكام والعقائد (مثل آية الكرسي ، وآيات الصيام والحج ، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية ، وقصة طير إبراهيم عليه السلام . . وغير ذلك كثير . .) . والدلالة هنا قائمة ناهضة ، تشير إلى حكمة الوحي حتى في

اختيار الأسماء ! !

إنها تحذير جهير من اليهود ، ومن أفعالهم على سواء !

وإيجاز ذلك :

(أ) - أراد القرآن العظيم أن ينبه المؤمنين إلى أن اليهود قد احترفوا اللجاجة والجدل العقيم من قديم ، حتى مع أكبر أنبيائهم فكيف بغيرهم ؟ ! وهذا تحذير مبين للمؤمنين ، ليفهموا هذه الشخصية الشوهاء ! !

(ب) أراد القرآن تنفير المؤمنين من داء بنى إسرائيل ، حتى لا يكونوا مثلهم فى المماراة واللجاج الباطل ، وخاصة فيما يتعلق بشريعة الله تعالى ، التى يجب تلقيها بالقبول والإقبال !!

ولذلك ساق الله تعالى « قصة البقرة » أمثلة على الجدل والتماحك اليهودى الغريب !!

ثم ركز أنظار المؤمنين عليها ، باختيارها — دون غيرها — لتصبح علماً على السورة الكريمة ، حتى لا تغيب دلالتها عن وعى المؤمنين : تحذيراً أو تنفيراً !!
والله تعالى أعلم بمراحده ، وأسرار كتابه ، ولا علم لنا إلا ما علمنا من فضله العظيم :

٥١ — الرابع : الغدر ونقض العهود :

ومن هذا الخلق التحريفى الخطير أساليهم فى الغدر ، ونقض العهود تحت أفانين من الخداع ، والمبررات الكاذبة ، وألوان من ضروب التحريف ، ولّى الكلم عن مواضعه ، وتزييف المعانى والمفاهيم ، وفلسفات الاستحلال التى يجيدونها ، وتجرى منهم مجرى الدم !!

والعهد عند اليهودى ضرورة مرحلية يعقده لأجلها ، ثم ينقضه بانتهاء ظروفها ومنفعتها !!

وبين العقد والنقض يظل اليهودى كالثعلب الجبان ، يتلف ، ويتربق الفرصة ، أو يوجدها ، لينقض تحت أمان العقد ، وغفلة الخصم !!

والقرآن العظيم يقرر أن هذه خطة يهودية دائمة ، فيقول على سبيل الحصر والشمول :

﴿ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ (الأنفال : ٥٦) .

وحتى اللعبة الخطيرة التي يمثلونها اليوم تحت اسم : « الحمام » و « الصقور »^(١) هي لون قديم من خداعهم ، ويشير إليها القرآن العظيم بأسلوب التكرار المطرد كآلية السابقة :

﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة البقرة ١٠٠) .

وقد ظهر مصداق هذا في كل تصرفاتهم القديمة والمعاصرة على سواء ، وتواطأت على هذا الدرب أجيالهم :

● ابتداء من عهودهم مع الله تعالى على يد كبار أنبيائهم كما قال تعالى :

﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ . . . ﴿ (سورة النساء : ١٥٤ ، ١٥٥) .

وكما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا ، قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ (سورة البقرة : ٩٣) .

(١) أى يظهر جماعة منهم التفاهم واللين ، ويظهر آخرون التشدد ، ومقصد الجميع واحد في الشر والأذى ، وفي القرآن كثير من خداعهم هذه بيانا وتنديداً !!

● وانتهاء بما صنعه مع النبي محمد ﷺ من غدر . ونقض للعهود
في أخرج الظروف ، وأهلك المعارك ، كما صنع « بنو قريظة » يوم
الأحزاب فعوجلوا بالعذاب :

﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ^(١)
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَنَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْزَكْنَكُمْ
أَرْضَهُمْ وَدْيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب : ٢٦ ، ٢٧) .

ناهيك عما صنعه اليهود مع غير الأنبياء ، ولا زالوا يفعلونه ،
من غير ما خجل ، ولا اعتبار للقيم والأخلاق ، ولا التزام بشرف
الكلمة أو حسن السمعة ، تماماً كما قال القرآن عنهم في تعبيره
الجامع : « وهم لا يتقون » !!

والأمثلة على ذلك كثيرة ومعروفة مشهودة ^(٢) .
والبقية آتية لا محالة . . !

(١) الصياصي : جمع صيصية وهي كل شيء يتحصن به والمراد بها هنا الحصون .
(٢) أقرب مثال لذلك تفسيرهم للقرار الشهير ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ الخاص بالجلاء عن
الأرض العربية المحتلة ، فقد فسروه بحيلة لغوية شيطانية ، وقالوا إنه يعنى الجلاء عن
« أراضى » بالتكثير ، وليس عن « الأراضي » بالتعريف ، وجعلوا ذلك ذريعة للبقاء في
القدس وغيرها ، بل جعلوا ذلك وسيلة مطاطة للمساومات والمجادلات ، وأغراهم بهذا
العبث أن أصحاب القضية في كل واد يهيمون ، ويقولون ما لا يفعلون !!!

ومن هذا الباب أيضاً خرقهم جميع اتفاقيات الهدنة التي وقعوها في كل الجبهات وفي
جميع الحروب ابتداء من ١٩٤٨ — ١٩٧٣ .

ومن هذا الباب خرقهم الاتفاق على إيقاف بناء المستوطنات في الأرض العربية ،
ولم يحف بعد مداد المعاهدة التي عقدت معهم في غفلة وجهالة !!!

وفى هذا بلاغ ومقنع لمن عقل عن الله تعالى ، وكتابه ، وأراد أن
يتزود بالنور الحقيقى فى ظلمات الأحداث العاتيات !!

ومن يقرأ « التلمود » الحقود يعرف البواعث المحركة والمهيجة
لهذا الأسلوب اليهودى المنكر ، بل يرى أن هذا الإجرام الخطير هو
« دين التلمود » ، يعد بالثواب الجزيل على فعله ، ويتوعد بالإثم
والعذاب المهيّن على تركه !!

إن « الجويم » (غير اليهود) فى نظرهم كفر ، ووثيون ، بل
هم بهائم وحمير خلقت لخدمة « الشعب المختار » !!

وهى لم تعط الصورة الإنسانية تكريماً لها ، وإنما لإيناس « السادة
من بنى إسرائيل » ، ولهذا فلا عهد لها ولا حرمة ، ولا عقد
ولا وفاء !! هذه هى عقيدة « التلمود » التى أشربتها « نفسية
اليهود (١) » !!

وهذه هى مبررات الإلحاد والإفساد ، التى أضرم نيرانها أجدار
السوء ، من « أبناء الشياطين » قاتلهم الله !!

وسنرى بعد (٢) — إن شاء الله — كيف نقض القرآن العظيم
دعواهم نقضاً ، بل قلبها عليهم — بذنوبهم — قلباً ، وبرأ الوحي
الكريم من دنس المفسدين فى الأرض ، الكافرين بأنعم الله عز
وجل !!

(١) راجع كتاب : همجية التعاليم الصهيونية » ، وكتاب : « فضح التلمود » .

(٢) راجع الفقرتين رقم ٦٠ ، ٦١ من هذا الكتاب .

٥٢ — الخامس : غاية الحقد والحسد :

فلقد انطوت « النفسية اليهودية » على حقد بالغ ، وغل أسود ، وحسد عاصف للناس عامة ، وللمؤمنين منهم خاصة !

وكما نهينا مراراً كان من شؤمهم ولؤمهم الذى تفردوا به جعلهم ذلك ديناً ينسبونه زوراً إلى الوحي الأعلى ، ويؤججون باسمه سعارهم النفسى المحتدم !!

ومن ثم دأبوا على الكراهية الوحشية للمجتمعات البشرية ، والكيد الدائم لها ولو أحسنت إليهم ، تنفيساً عن وحر صدورهم ، وبغضاً لرؤية أى أثر للنعمة على غيرهم !!

بل لقد وصل بهم هذا الشعور المفزع إلى الحد الذى جعلوا به « رب العالمين » حكراً عليهم من دون الناس ، وافترخوا عليه من الصفات والأفعال ما يصل إلى الأساطير ، ونسبوا هذا الإفك إلى كبار أنبيائهم عليهم السلام !!

والقرآن العظيم يكشف خليقتهم هذه فى آيات كثيرة ، وبعديد من الأساليب وضروب التقريرات والتأكيدات الصارمة :

قال تعالى مستنكراً عليهم :

﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۖ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ ﴾

(سورة النساء : ٥٣ — ٥٤) .

بل لقد سبقوا المشركين وأهل الأوثان في كراهية أى خير
يصيب المسلمين ، ولو كان محض فضل وعطاء من رب العالمين :
﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ
يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (البقرة : ١٠٥) .

وإذا كان المشركون لهم مير من الشرك أو الجهل ، فلا مير
لليهود إلا داء الحقد والحسد ، الذى ظل يأكل صدورهم حتى تدلّوا
إلى حضيض سحق تمنا فيه كفر الناس على الإيمان بالله ، ودينه ،
ووحيه الجليل : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ
إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
الْحَقُّ ﴾ (البقرة : ١٠٩) .

ولم يكن هذا سعاراً نفسياً يعتمل في صدور أصحابه فقط ،
ويطوون عليه جواخهم عسى أن يهدأ يوماً ما ، وإنما حولوه إلى واقع
يفور بالفتن ، ويشور بالعفن ، إلى الدرجة التى خانوا فيها رسالات
الأنبياء أجمعين ، حين فضّلوا الوثنية الجاهلية الطامسة الدامسة على
جلال التوحيد والإيمان ، وكال الوحي الأعلى !!

وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنْ
الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ
أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ (سورة النساء : ٥١) .

والآية الكريمة نزلت في بعض زعماء اليهود الذين ظاهروا
مشركى مكة على النبى ﷺ وأصحابه ، وبالغوا في رثاء قتلى الكفار
في بدر ، وذهبوا يحرضون الأعراب وزعماء الوثنية على اجتياح
المدينة !!

وانتهز زعماء الشرك الفرصة ليربررو لأنفسهم سلامة موقفهم
فكرياً ودينياً ، فسألوا أصحاب الدين ، وأهل الكتاب الأول ،
والعلم القديم !! !

ويا له من موقف عصيب بين مريب وكذوب !! !
لقد انفجرت أحقاد اليهود طافحة ، وعموا وصموا ، وخانوا
الأمانة ، ولوثوا شرف التاريخ الدينى كله حيث زعموا لقريش أنها
« خير وأهدى من محمد سيلاً »^(١) !! !

إنها العقدة النفسية عند اليهودى التى تغلق عليه منافذ السمع
والبصر ، وتدفعه — دائماً — إلى أسفل سافلين فى سلوكه وتصرفه
نحو الناس جميعاً ولو أحسنوا إليه !! !

بل الغريب المزعج أنه كلما أمعن الإنسان فى الإحسان إلى
اليهودى ، أو قدم إليه معروفاً ، طفحت على صدره ومشاعره تربيته
التلمودية ففجرت فى نفسه جرثومة الحقد والحسد ، فيتكافأ مردود
السوء منه ، مع قدر ذلك الإحسان الذى سبق إليه ، بل ربما أرى
اليهودى سوءاً مستغلاً ظرف الإحسان^(٢) ، أو مستغلاً حمير
« الجويم » الأغرار (على ما يزعم اليهود !!) .

(١) القصة رواها البيهقى فى الدلائل ، والطبرانى وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما .
(راجع تفسير ابن كثير ، وتفسير فتح القدير للشوكانى . . .) .

(٢) شواهد التاريخ أكثر من أن تحصى فى هذا الباب ، فهم الذين خانوا المسلمين فى
الأندلس ، وتآمروا على الخلافة فى تركيا المسلمة ، وقابلوا إحسان العرب إليهم طوال
القرون الماضية بضراوة هذا الإجرام الطامى ، ولديهم منه مزيد إن لم يرجع العرب
والمسلمون إلى دينهم العظيم ، وإن لم يأخذوا الكتاب بقوة و يقين ، والله الأمر من قبل
ومن بعد !

إن الحقود اللدود لا يصلحه شئ في الوجود !!
والنار لا يزيدھا عصف الرياح إلا اشتعالاً !!
وكذلك اليهود دائماً !!

لذلك يرتفع صوت القرآن العظيم في معركة المصير محذراً
المؤمنين ، وكاشفاً الأعماق المظلمة في خبايا النفسية التلمودية .

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا...﴾ (المائدة : ٨٢) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ
خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
(آل عمران : ١١٨) .

وما أجل هذه اللفتة القرآنية في ختام الآية الكريمة !!

فهل يعقل المسلمون بيان ربهم الأعلى ؟ !

وهل يعون هذه المعاني القرآنية الهادية ؟ !

وهل تتحول هذه الكلمات إلى حقائق حية يتحركون بها في
واقع الحياة ؟ !

وحتى يواجهوا معركة وجودهم — مع أعدى أعدائهم —
بروح القرآن ، وعزم الإسلام ؟ !

اللهم حقق هذا الأمل ، وأبرم لهذه الأمة إبرام رشد ، تغز به
أهل طاعتك ، وتذل به أهل معصيتك ، ويستعلي فيه كتابك ،
وتسود به شريعتك ودينك وعبادك المؤمنون !!

٥٣ - المفتاح السادس : الإفساد فى الأرض :

فماذا ينتظر من قوم تجمعوا على هذه الصفات العاتية ؟ !

قلوبهم أقسى من الحجارة . . . !

وأحبار السوء يمدونهم فى الغى مدأ !

بل ويضعون لهم الخلفية الدينية والفلسفية التى تبرر كل منكر ،
وتسوغه للضمير المظلم تسويغاً خطيراً بنسبته إلى الوحي الأعلى ! !

لذلك كان اليهود فى كل مكان نزلوا به ، وفى كل جيل عاصروه
وعايشوه ، وفى كل موقف من مواقف الحياة : « أداة إفساد وتدمير »
لا تعرف خلقاً ولا رحمة ، ولا عهداً ولا ذمة ، حتى قال واحد
منهم (١) .

« نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ، ومحركى الفتن
فيه وجلاديه » !

والقرآن العظيم يقرر عنهم هذه الحقيقة الإجرامية بشتى
الأساليب ، وقد ذكرنا ما يكفى للدلالة على هذه زيادة !

ونذكر هنا فقط جوامع الآيات الكريمة التى عددت جرائم بنى
إسرائيل ، وإفسادهم عبر التاريخ ، وإشعالهم الفتن والقلاقل بين العباد
وبالبلاد تنفيساً لحقدهم الطافح ، وغلهم المحتدم ! !

قال تعالى آمراً بنبيه والمؤمنين مناقشة اليهود الحساب ، وكاشفاً

(١) القائل هو الدكتور « أوسكار ليفى » اليهودى .

لهم مخازيهم وجرائمهم في آيات متتابعة من سورة المائدة :
(٥٩ — ٦٤) .

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تُتْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ .

وليتأمل كل مسلم ألفاظ القرآن العظيم ، وليتذكر جيداً أنه
كلام رب العالمين الذى أنزله بقدر معلوم ، وعلى حساب موزون .

إن الآية الكريمة تسجل « سر النعمة اليهودية » على المؤمنين ، إنه
الإيمان بالله ورسالاته ، وهو غريم اليهود ، وخصمهم اللدود ، لأن
أكثرتهم فسقت — من قديم — عن أمر ربها ورسله ! !

لذلك تستمر الآيات الكريمة فتذكرهم بمواقف هى شر من
بغض المؤمنين ، ومن الفسق عن أمر الله ، فى عقوبتها أو نوعية الذنب
فيها : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ
وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ
أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة : ٦٠) .

والآية الكريمة تتناولهم بأسلوب التهكم اللاذع فتسمى جزاءهم
« مثوبة عند الله » على غمط دعواهم التى زعموا بها المنكر ديناً يثابون
عليه ، ولكن أى مثوبة عند الله عز وجل ؟ !

إنها مثوبة :

« من لعنه الله » .

« وغضب عليه » .

« وجعل منهم القردة والخنازير » !!

وما ذلك كله إلا بجرائهم الفاحشة ، ووقاحتهم مع الله عز وجل
ورسله الأكرمين !! مثل : « عبادة الطاغوت » ابتداء من عجل
السامرى ، وانتهاء بعبادة الأحرار الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله
عز وجل !!

وتنتهى الآية الكريمة بوصفهم « أولئك شر مكاناً وأضل عن
سواء السبيل » ، وهذا أسلوب لغوى معروف ، يقصد به بيان
المفاضلة فى أصل الشئ ، أو بين شيئين ، وهو هنا يعطى الوصف
الحقيقى « للشر والضلال » اليهوديين بأنهما أصل وقاعدة فى هذا
الباب ، أو أنهما زائدان عن كل ما عرف لدى الأمم والشعوب من
ألوان الشر والضلال ، وإنهما لكذلك على أى وجه حمل الكلام !!
ثم تأتى الآية الكريمة :

﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ
خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ (المائدة : ٦١) .

وهى هنا تبرز إحدى الخصائص التدميرية التى يستعملها اليهود
فى إفساد العقائد ، وتهديم الأخلاق ، وهى صفة « النفاق » والتلون
بلون المواقف والأحداث ، مع الإصرار على الكفر الباطنى فى كل
حال !!

ومن تلکأ ، أو تردد فى فهم هذه الخصوصية الأساسية عند
اليهود فقد تردى فى حبال خديعتهم اللقيمة ، ولذلك يأتى ختام الآية

الكريمة يستتفر العقيدة في القلوب ، لتسارع بالفهم عن ربها الذي يعلم السر وأخفى ، والذي بين أعماق هذه النفسية المظلمة بياناً بالحق والعدل !!

• ثم تأتي الآية الكريمة بعدها فتسجل عليهم تهافتهم في التخريب والاعتداء ، وأكل الحرام في أبشع صوره :

﴿ وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة : ٦٢) .

ولسائل أن يعجب من هذه « المسارعة » في كل باطل ، ويتساءل محقاً : وأين علمائهم وأهل الرأي فيهم ؟ !

لقد كان الصالحون منهم قلة ، يضيع صوتها دائماً في جلبة المنكر ، وأما عامتهم فأوغلوا في الفساد ، وأضرمو نيران الإلحاد ، ووضعوا لذلك المبررات الدينية ، والأصول الفلسفية بل كان « صانعو التلمود » منهم خاصة على ما ذكرنا من الفحش والطغيان !

ولذلك يبلغ القرآن العظيم غاية الإعجاز حين يطرق « رأس الفساد » مباشرة ، ويقرع خلفاء السامري لا على سكوتهم ، بل على حذقهم في « صناعة الباطل » : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة : ٦٣) .

ثم تأتي ختام الآيات الكريمة فتذكر أشنع شناعتهم في العقائد

وتردها عليهم ، وتسجل عليهم جملة من خصال السوء الجديرة بالتأمل الواعي لمن أراد فهم هذه النفسية الحاقدة ، ورغب في إتقان التعامل معها بما هي أهل له ، على ضوء حقائق الوحي الأعلى :

أول هذه الخصال : أن الحق لا يزيدهم إلا طغياناً وكفراً ، فهم أعداء الحق دائماً !!

وثانيها : أن قلوبهم تفور بالعداوة والبغضاء إلى يوم القيامة !!

وثالثها : أنهم وقادو الفتن والحروب بين الشعوب !!

ورابعها : أنهم يجذّون — ويجددون — دائماً في إفساد الأرض كلها (١) !!

وخامسها : أن الله تعالى لهم بالمرصاد ، لأنه لا يحب المفسدين ولا الفساد . . . !! ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة : ٦٤) .

وفي القرآن العظيم آيات كثيرة يسرد فيها سلسلة من مآسيهم المفرعة ، وفي عصورهم المختلفة ، مرتبطة بوقائع تاريخية محددة ،

(١) الجذ مأخوذ من قوله تعالى (ويسعون) ، والتجديد مأخوذ من « الجملة الفعلية » ، وكذلك اليهود أبداً !!

تكشف ألواناً وضروباً من هذا الإفساد العتي الرهيب :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْيَنًا فَأَعْفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا * وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا أَبْوَابَ سَجْدَاءَ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (النساء : ١٥٣ ، ١٥٤) .

فماذا صنع يهود بعد العفو ، والآيات ، والمواثيق ؟ !

يتابع القرآن العظيم سرد فواجعهم : ﴿ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (النساء : ٥٥ — ١٥٧) .

ثم تحتم الآيات الكريمة : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ بُهْتُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء : ١٦٠ ، ١٦١) .

فأى أمة — في التاريخ كله — تبلغ في النكارة والإفك مبلغ هؤلاء اليهود ؟ ! خمس عشرة نقيصة من أحيث كبائر الإثم والفواحش

يسجلها عليهم القرآن في موضع واحد ، ويصم بها أجيالهم جميعاً من موسى إلى محمد عليهما السلام ، ومنها ما هو مستمر في أجيالهم إلى يومنا هذا على نفس صورته الأولى من ضراوة الفحش مثل : إفكهم في عيسى عبد الله ورسوله ، وقولهم في أمه الصديقة الطاهرة ، وأخذهم الربا وهو محرم عليهم ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، والصد عن سبيل الله بكل الوسائل والأساليب !!

وتلك الخسائس لا تزال من أبرز سمات اليهود المعاصرين
خطيئاً ، وسلوكاً ، وتعاملاً بين الناس !!

٥٤ — السابع : الاستهانة بالأخلاق والحرمات والشرائع :

وقد أوغل اليهود في ذلك إيغالاً رهيباً حتى صاروا أئمتهم بلا منازع ، وعلمه المتفرد بين الناس قديماً وحديثاً على سواء !!

ولقد نعى عليهم القرآن العظيم هذا المسلك الشائن ، وعدد ضروبه ونواحيه ، وحدد وقائعه ومآسيه عبر أجيالهم جميعاً ، وسجل عليهم في ذلك خزي الدهر بما لم يسجله على أمة غيرهم ، رغم كثرة أنبيائهم بصورة لم تعهد فيما سواهم من أم الأرض !!

وفي الفقرة السابقة أوردنا من الآيات الكريمة ما يوضح هذا تمام التوضيح وبما يغني عن الإعادة !!

مجتمع الخطايا :

بيد أننا نستطيع القول — بلا أدنى مغالاة — أنه ما من موبقة من الكبائر والفواحش إلا وقد شاعت في بني إسرائيل ، بل كانوا

يتسارعون في ذلك ويتهافتون عليه كما سجل عليهم القرآن ، ويبلغون فيه حد « المبالغة » ، والاستغراق بلا حرج من شعور النفس ، أو سلطان الدين ، أو إنكار أهل العلم ، بل هم الذين اختلقوا المبررات الدينية لتأجيج المنكرات !!

ولذلك يعبر القرآن العظيم عن خطايا بنى إسرائيل بصيغ « المبالغة » التى تفيد التكثير والزيادة فى السوء فيقول :

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ . . . ﴾

(المائدة : ٤٢) .

ومع هذه « المبالغة » المظلمة تجدهم خفافاً إلى الإثم ، طيارين إليه كلما لاحت لهم بوارقه ، كأنهم لا يشبعون ولا يملون :

﴿ وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَأَعْدُوا نِ وَأَكْلِهِمْ
آلَسُحْتِ . . . ﴾ (المائدة : ٦٢) .

٥٥ - تأصيل الدنس :

ولقد خطأ اليهود خطوتهم المشنومة لتأصيل الدنس ، وإسباغ « الشرعية » الدينية عليه ، ولو بالحيل والأكاذيب فكانوا بحق كما وصفهم النبى ﷺ : « لا تتركبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » (١) .

(١) رواه الفقيه الإمام أبو عبد الله بن بطة بسنده عن أبى هريرة مرفوعاً ، وقال ابن كثير : « وهذا إسناد جيد . . . ويصح الترمذى يمثل هذا الإسناد كثيراً » تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٥٧ (عند تفسير الآيات ١٦٣ - ١٦٦ من سورة الأعراف) .

ومن أدنى — بل أدنى — حيلهم في هذا الباب ما نسبوه إلى كبار أنبيائهم من ولوغ في المنكرات والفواحش ، ليجعلوا منهم مبرراً قاطعاً يعللون به خطاياهم هم ، ويفلسفون به فواحشهم ، بل ويضفون به على الرذائل صورة « الشيوخ » الإنسانى الذى لا يفلت منه أحد من جانب ، ثم هو من الجانب الآخر يغرى النفس بالتقليد ، والمحاكاة والافتداء !!

لقد نصب الوحي الإلهى الأنبياء عليهم السلام أسوة حسنة للناس ، ووصفهم بما هم أهل من طهارة وسمو ، ونبل وإحسان ! وجاء اليهود — وهم قوم بهت^(١) — فعمكسوا على الوحي قضيته وألصقوا بالأنبياء عليهم السلام كل رذيلة، ليجعلوا منهم مثلاً يغرى بالسوء ، ويكتسح في النفس الإنسانية كل عناصر المقاومة ، ولا يجعلها تتمالك إلا ريثما تنهالك وتسارع في الخطايا !

٥٦ — سبحانه هذا بهتان عظيم :

وإن المؤمن الذى يقرأ كتب اليهود الدينية سوف يفجأ ويفجع حين يرى « أئمة الهدى » و « شواخ النبوة » تتهاوى على أيدي اليهود النجسة، وتمرغ في أوحال الخطيئة !

(١) جمع بهوت كصبور وهو الذى يخلق على غيره ما ليس فيه ، وهذه الكلمة — كما ذكرنا سابقاً — وصفهم بها حبرهم الكريم عبد الله بن سلام حين أسلم سرّاً وقال للنبي ﷺ سل عنى اليهود قبل أن أن يعلموا بإسلامى فإنهم قوم بهت . . . فلما سألهم النبي ﷺ أثبوا عليه ثناء بالغا ، فخرج إليهم فأعلمهم بإسلامه ، فقالوا هذا شرنا وابن شرنا . . . إلخ (راجع ما قلناه سابقاً في الفقرة رقم ٣٣) .

ولا يكاد يفلت نبي كريم من هذا المصير المروع الذى افتراه بنو إسرائيل !!

● فهذا شيخ الأنبياء الصبور والشكور « نوح » عليه السلام يصورونه سكيراً يشرب الخمر ، ويتعرى داخل خبائه ، حتى يرى عورته أصغر أبنائه ويخبر أخويه ساخراً . . إلخ (١) .

● وهذا « لوط » النبي الكريم الذى آتاه الله « حكماً وعلماً » ، يميكون حوله أبشع التهم من مؤامرة ابنتيه عليه حتى سقته خمرًا ، فصار لا يعقل شيئاً إلى الدرجة التى زنى فيها « بابنتيه » حتى حملتا منه سفاحاً (٢) .

● أما أبو الأنبياء « إبراهيم » عليه السلام فيقدمون له صورة كابية نائية ، كأنه رجل ماذى نهم ، يتاجر بزوجه الجميلة عند الملوك ليربح ويأكل (٣) تماماً كما يفعل المرابون اليهود إلى يومنا هذا !!
ومن أين لليهود علم هذه الأكاذيب ، وهؤلاء جميعاً كانوا قبلهم ؟ !

لقد نسبوا ذلك إلى الوحي كذباً وافتراءً ، وأثبتوه فى صلب كتبهم الدينية ؟ !

وبدهى أن الأنبياء عليهم السلام برءاء من هذا الدنس ، ولم يزد

(١) راجع الإصحاح التاسع من سفر التكوين ، ولا حظ الأسطورة العنصرية التى رتبها اليهود على هذا الافتراء !!

(٢) الإصحاح التاسع عشر (سفر التكوين) !!

(٣) الإصحاح الثانى عشر ، والعشرين (التكوين) أيضاً .

اليهود إلا أن قدموا صورة أنفسهم هم ، وما تشتهيه من الدنيا والرزائل وجعلوا من هذه الأكاذيب مبرراً ومسوغاً كما قلنا !!

وآية ذلك أن كبار أنبيائهم لم يفلتوا من هذا المستنقع اليهودي الدنس بل أوغلوا بهم في الخطيئة أكثر من غيرهم ، لتكون القدوة شاخصة ، والهدف مباشراً ، والتهافت أسرع !!

ومن العجيب أنه كلما جلت وعظمت منزلة النبي فيهم كان نصيبه من نسبة الفواحش إليه أكثر وأضخم ، حتى لا تتماسك نفس ما على خلق كريم ، وكيف تفعل ؟! وأمامها دليلها الناهض من « عريضة الأنبياء » ، و « مجانة الأولياء » على ما زعم أحبار السوء قاتلهم الله !!

● لقد دنسوا — أول شيء — سيرة أبيهم يعقوب (إسرائيل) فصوروه سارقاً للنبوة من أخيه ، ومستحلاً استغفال أبيه ، والكذب عليه إلى درجة التمثيل الساذج ، والتلاعب بين الذي لا يخرج عن أساطير الصغار ، وهزل الصبيان (١) !!

● أما النبي الصالح (داود) عليه السلام ، والذي ينشدون مملكته اليوم فقد خصّوه وأهل بيته جميعاً بوضع نصيب من التهم ، وجعلوا منهم أسرة تعيث في الخطايا والدنس بكل ألوانه الحالكة !!

فهم يرمونه ابتداء بالزنى مع امرأة أحد جنوده المجاهدين في سبيل الله ، حتى حملت منه سفاحاً ، ثم يقصون كيف احتال (داود) على

(١) راجع هذا في سفر التكوين ، والإصحاح السابع والعشرين وما بعده !!

الجندي المجاهد من أجل أن يضاجع زوجته لينسب الحمل إلى الزوج ، ولما أتى الجندي أن يذهب إلى بيته ويترك إخوانه المجاهدين تأمر عليه (داود) ليستر جريمة الزنى بجريمة قتل المجاهد ، ثم يعاقبه الله تعالى — بزعمهم — فيسلط عليه ابنه « أبشالوم » فينزعه ملكه ، ويزني « بسرارى أبيه أمام جميع إسرائيل » .

وقبل هذا كان « أبشالوم » قد قتل أخاه « أمنون بن داود » لأنه زنى « بثامار » شقيقة « أبشالوم » (١) .

● أما (سليمان) صاحب الهيكل الذى يتباكون اليوم من أجله فقد نسبوا إليه كل خطيئة وفجور ، وحاشاه عليه السلام مما تقول المجرمون !

فهو — فى زعمهم — ابن هذه المرأة الزانية بعد أن تزوجها داود !! وهو الذى أمالت نساؤه الأجنبية « قلبه وراء آلهة أخرى » (٢) .

ثم فى خاتمة النقائص جميعاً هو صاحب « نشيد الإنشاد » ذلك الغزل الداعر الذى ينسبونه إلى النبى الطاهر ، ويتعبدون بتلاوته كأنه وحى مقدس ، وما هو إلا وحى الشيطان نفثه على لسان خليع ماجن من شعراء بنى إسرائيل (٣) .

(١) راجع سفر صموئيل الثانى الإصحاح الحادى عشر وما بعده . .

(٢) سفر الملوك الأول ، الإصحاح الحادى عشر !

(٣) نشيد الإنشاد (ثمانية إصحاحات) ولا ندرى كيف يجمع أهل الكتاب على تقدس هذا اللغو المثير ! ولا عجب أن يتولى اليهود نشر المجلات الجنسية فى العالم كله متخذين من هذا التزييف قنوتهم الطامسة !!!

٥٧ - دروس من جلال القرآن العظيم :

ولقد جاء القرآن العظيم ينصف الهداة الأساة عليهم السلام ،
ويعلمنا زيف بنى إسرائيل ، ويبرئ ساحة النبوة المقدسة من دنس
الخطيئة ، ويرفعهم جميعاً إلى ما هم خليقون به من ذروة الطهارة
بكل معانيها الإنسانية ، والدينية !

ولنتأمل كل لفظة يشرف بها القرآن العظيم أئمة الأنبياء الذين
لوثت تاريخهم لوثات بنى إسرائيل !!

ولنسجد إجلالاً لرب هذا القرآن الذى حمى شرف الوحي ،
وجلال النبوة من دجل الأفاكين ، وأكرم بيت (داود) من وهدة
العار التى حفرها له السفهاء الألداء !!

يقول الله تعالى فى فضل داود عليه السلام : ﴿ أَصْبِرْ عَلَى
مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَرْنَا
الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ
أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ ﴾
(سورة ص : ١٧ - ٢٠) .

أما سليمان عليه السلام فيكفى فيه هذا القول الجامع :

﴿ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ ، نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾
(سورة ص : ٣٠) .

ويقول جل شأنه فى آل داود :

﴿ ... أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ

الشُّكُورُ ﴿ (سورة سبأ : ١٣) .

٥٨ — نحن أولى بأنبيائهم منهم :

وفي هذا بلاغ ومقنع لمن أراد أن يتعلم من القرآن العظيم ، ولمن أراد — في هذه المعركة الضارية — أن يعلم حقيقة الدعاوى اليهودية في : « مملكة داود » و « هيكل سليمان » ، وأنها في صميمها تجارة بائرة باسم الأنبياء عليهم السلام ، تستهدف ابتداء تحقيق مطامع الشيطان في أرض الإسلام ، تماماً كما رفع إخوانهم من قبل شعار « الصليب » وتاجروا باسم عيسى عليه السلام ، وعربدوا تحت راية « الإنجيل » ، وفجروا في الأرض المقدسة مخالفين كل تعاليم المسيح عليه السلام !!

والمعركة اليوم — كشأنها بالأمس — لا حل لها إلا أن يأتي « عبد صالح » و « رجال مؤمنون » ، ليرفعوا في وجه الطوفان « راية القرآن » ، ويجمعوا حولها القلوب والسلاح ، وحينئذ يصدق وعد الله الحق :

﴿ . . . كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّيْدُ فَيَحْذَرُ
جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ . . . ﴾
(سورة الرعد : ١٧) .

٥٩ — والسؤال هنا :

لماذا تصدى القرآن العظيم لهذا الجانب التصحيحي الخطير ؟ !

والجواب في إيجاز :

أولاً : إحقاقاً للحق ، وإنصافاً لتاريخ أظهر بشر درجوا على الأرض عليهم السلام !

ثانياً : ترسيخاً لأصول الأخلاق ، حتى تثبت معايير الفضائل وتبدو أصالة الحرمات والقيم ، ويستشعر الناس جلالها وكرامتها وأهميتها البالغة !

ثالثاً : دحضاً لخطة اليهود في إشاعة الفاحشة ، وهدماً لما رموا إليه من تهوين عقدة الفضائل في النفس البشرية ، وما رتبوه على ذلك من إغراء الناس بالردائل باعتبارها قدراً مقدوراً ، أو جبلة بشرية من العبث مقاومتها وكتبها ، فإن كبار الأنبياء — في زعمهم — لم يمكنهم ذلك (١) .

وإذا كان اليهود اليوم قد نجحوا في إطلاق السعار الجنسي ، والانحلال الشهواني في العالم المعاصر، فما ذلك إلا لغية المسلمين عن ساحة الحياة ، وحلبة التأثير العالمي !!

ولا يوجد غير القرآن اليوم شيء يقارع الإعصار ، ويكبح الطوفان !!

والقرآن اليوم — متفرداً — هو المرشح لإنقاذ البشرية ، ورد الاعتبار للقيم العليا والأخلاق الأصيلة ، التي شرف الله تعالى بها

(١) راجع ص ٣٤ من كتاب « همجية التعاليم الصهيونية » حيث ينقل عن « التلمود » نسبة الخطايا كلها إلى القدر الإلهي ، ويبررون بذلك كل الفواحش المنسوبة لأنبيائهم بل كان « ربانيوهم » مثلاً ساقطاً في انحلال الخلق ، واتباع الشهوات ! !

الإنسان ، ورفعها بها عن خسة المادة المجردة ، معبودة بنى إسرائيل من قديم !!

وتلك لعمر الحق مهمة عظمى سوف يؤديها القرآن العظيم في الأرض اليوم — كما أداها بالأمس — حين يفيق المسلمون ، ويفيء أتباعه المخلصون إلى أمر الله عز وجل وإنهم لفاعلون بإذن الله .

٦٠ — الثامن : الاستعلاء العنصرى :

لم يكن هذا الغرور الجاهلى الأحق بدعاً تفرد به بنو إسرائيل بين الأمم ، بل ادعاه غيرهم كثيرون مثل الرومان ، واليونان ، والفرس ، حتى العرب قسموا الناس إلى : عرب ، وعجم تفاخراً واستعلاءً !!

ولا تزال الدعوى تفور وتتجدد حتى استعلت « النازية » ، بعنصرها الجرمانى فوق الجميع ، فى العصر الحديث !!

ومن المفارقات العجيبة أن يندد اليهود « بالعنصرية النازية » ، مع أنهم هم أبشع دعاة التفريق العنصرى من قديم ، وغلاته الأولون !!

ذلك لأن بنى إسرائيل تفردوا من بين الأمم بأفئتهم المتكررة ، وخطيئتهم المدمرة ، حين جعلوا ذلك (عقيدة وديناً) ، ونسبوه إلى الوحى الأعلى ، وسجلوه فى صلب كتبهم الدينية على أنه : حقائق إلهية ، ومقررات نبوية !!

ثم قامت أفاعى الأخبار ، تنفخ على هذا الضلال حتى صار سعاراً مقدساً ، وسعيراً متأججاً ، طافحاً بالحقد والبغضاء العاصفة !!

ولقد كان هذا الاستعلاء الجاهلى المظلم من أفدح الجنايات التى أوقعها اليهود بوحي السماء ، فعطلوا بذلك مسيرته ، وخانوا أمانته ، ودمغوه بالعنصرية والشعوبية ، مع أنه رحمة الله للعالمين !!
والعقيدة التلمودية قائمة على أن « اليهودى من جوهر الله كما أن الولد من جوهر أبيه (١) » .

و « أن اليهودى أحب إلى الله من الملائكة » . « والذى يصفع اليهودى كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء (٢) » .

أما غير اليهود (الجويم) فهم جميعاً بلا استثناء « كفرة وثنيون » لا يقبل الله تعالى منهم عبادة ولا عملاً ، وهم أيضاً « أنجاس » بأصل الخلقة لأنهم ليسوا من جوهر الله (سبحانه عما يقولون) ، بل خلقوا من طينة شيطانية ، ثم هم أيضاً « حيوانات » فى صورة إنسان ، ولم يعطوا هذه الصورة إلا إكراماً لليهود ، حتى يحصل الأنس للإسرائيلى السيد بصورة خادمه (الذى لم يخلق أصلاً إلا لهذه المهمة (٣)) !!

والمزعج أنهم رتبوا على هذه الأساطير كل حياتهم ، وعبادتهم ، وطقوسهم ومعاملاتهم ، وجعلوها مدار استحلال كل شئ من (الجويم) : العرض ، والمال ، والدم والعهد ، والوعد ، واليمين . . . إلخ .

(١) « همجية التعاليم الصهيونية » ص ٦٢ نقلاً عن التلمود ، وأحباره العتاة !! راجع كتاب : « الكنز المرصود فى قواعد التلمود » ص ٦٦ وما بعدها .
(٢) المرجعان السابقان .
(٣) المرجعان السابقان .

٦١ - سقوط الشعب المختار :

والقرآن العظيم يقرر صراحة أن الله تعالى « اختار » بنى إسرائيل ليقوموا بحمل رسالته في العالم القديم ، وفضلهم بذلك على العالمين في زمانهم .

ولم يكن هذا « الاختيار » بسبب العنصر ، أو العرق ، أو النوع أو اللون أو السلالة الخاصة ، أو غير ذلك من دعاوى وأباطيل الجاهليات البشرية في كل العصور !!

وإنما كان « تكليفاً لبنى إسرائيل ، و « اختباراً » لابتلائهم : أيشكرون أم يكفرون ؟ ولهذا قرن القرآن العظيم الأمرين جميعاً : « الاختيار والاختبار » في آيتين متتاليتين : ﴿ وَلَقَدْ آخَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ * وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴾ (الدخان : ٣٢ ، ٣٣) .

و « البلاء » هو « الاختبار » حقيقة ، وقد يطلق على « النعمة » أو « المحنة » مجازاً من حيث إن كلاهما يكون وسيلة « للاختبار (١) » .

فماذا فعل بنو إسرائيل رغم الآيات البينات ؟ !

يشهد الله ، وكتابه ، وأولو العلم قديماً وحديثاً أن اليهود قد سقطوا — في هذا البلاء — سقوطاً شنيعاً ذريعاً تفردوا به بين العالمين

(١) ومثله في المعنى قوله تعالى عن ذبح إسماعيل (إن هذا هو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر . (انظر الفتوحات الإلهية المعروفة : بحاشية الجمل) .

أجمعين ، بما حرفوا في دين الله ، وزيفوا في معالم الوحي ، وبما عصوا
وكانوا يعتدون !!

وبذلك سلبوا عن أنفسهم شرف حمل الرسالة ، وأداء أمانة
الوحي !!

الشعب الملعون :

ولذلك غضب الله تعالى عليهم غضباً أبدياً ، لم يغضب مثله على
أحد من الكفار على كثرتهم في الأرض ، ولعنهم لعناً عارماً باعتراف
كتبهم الدينية ذاتها ، وفي عهودهم المتتابعة ، وعلى ألسنة كبار أنبيائهم
وصالحهم (١) .

ويقرر القرآن العظيم هذه الحقيقة الصارمة ، ويكررها ،
ويؤكددها في كل مجال أو مقام تحدث فيه عن بني إسرائيل ، ومن

(١) من الملاحظات العجيبة أن أسفار العهد القديم (التي يقدسها اليهود والنصارى جميعاً)
تفيض فيضاً بلعن بني إسرائيل ، وبيان جرائمهم وآثامهم كالشرك ، والزنى الشائع
المستعلن . . إلخ .

ويراجع (على سبيل المثال فقط) :

* سفر الخروج : (الإصحاح ٣٢) .

* سفر الملوك الثاني : (الإصحاح ١٧) .

* سفر أشعيا : الإصحاح (الأول ، والثالث) .

* سفر أرميا : خاصة (الإصحاح ١ ، ٢ ، ١١) .

* سفر حزقيال : (الإصحاح ٢ ، ٣) .

وأكثر من هذا ما نسب إلى يحيى وعيسى عليهما السلام في الأنجيل النصرانية !!

ذلك قوله تعالى : ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة : ٧٨ ، ٧٩) .

ولكن بنى إسرائيل — كدأهم — قلبوا الحقائق ، وطمسوا معايير العقل والوحي جميعاً ، وزعموا أن الله تعالى اختارهم اختياراً ذاتياً ، واصطفاهم اصطفاءً أبدياً ، لنوعيتهم الخاصة ، ولما يراهم الشخصية ، ولعقريتهم المنفردة ، ولصلتهم الوثيقة بنسب الأنبياء عليهم السلام !!

ومن ثم توسع القرآن العظيم في نقض هذه « العقدة الجاهلية » وأبطلها إبطالاً صارماً ، وعرى « النفسية اليهودية » من كل دعاوى الزيف ، والغرور ، والتطاول ، وطمس أوهام « التلمود » طمساً بليغاً ، حتى لا ينخدع المؤمنون بأضاليل بنى إسرائيل ، وحتى لا يستشعروا نقصاً أو حرجاً أمام أسطورة : « شعب الله المختار » !!

وينوع القرآن العظيم أساليب الرد عليهم تنوعاً عجيباً ، فيفاجئهم مرة بالتحدى القارع ، وأخرى بالبرهان القاطع ، أو يعالجهم بالتقرير اللاذع ، والتعبير الموجه ، الذى يصيب كبد الحقيقة ، ويرد المتطاول من الآفاق إلى الأعماق ، ويقلب عليه دعواه صدقاً وعدلاً ، ولا يظلم ربك أحداً !!

وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ

أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿ (الجمعة : ٦ : ٧٩) .

يصف القرآن العظيم دعوى اليهود — في تفردهم بولاية الله تعالى — بأنها « زعم » ، و « زعموا مطية الكذب » كما تقول العرب !!

ولذلك يطالبهم ويتحداهم أن يتمنوا الموت ، ليصلوا إلى غاية ما يتمناه ولى الله ، إن كانوا صادقين !!

ولما كانوا أول من يعلم كذب دعواهم ، وأنها دعوى خالصة للدنيا ، وعبادة المادة الطاغية ، لذلك لم يرفع أحدهم رأسه في وجه التحدى القرآنى لیتمنى الموت ، وإلا لعوجل على مكانته ، وحرّم من دنياه التى يعبدها من دون الله ، ولعذاب الآخرة أحرى وأشق !!

ويقول تعالى حكاية لزعمهم الخطير ، والذى قلدهم فيه تلامذتهم الألداء : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَعْزِزُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (المائدة : ١٨) .

وهذا برهان ناهض ، يطل كل قول « بالنوبة (١) » ، أو المحبة الخاصة ، بل هذا البرهان فى بنى إسرائيل هو تاريخهم كله ، فإن أحداً لم يذق عذاباً كعذابهم ، لأن أحداً لم يذنب كذنوبهم ، مع كثرة

(١) المراد زعمهم أنهم « أبناء الله » على ما جاء فى كتبهم كالتلمود (راجع الفقرة رقم ٦٠) .

الذنوب في الأولين والآخرين من خلق الله !!

أما دعوى النسب النبوي فهو حجة عليهم لا لهم لأنه كان خليفاً — بمن هذا نسبه — أن يتقى الله عز وجل ، ولكنهم خانوا نهج آبائهم الأكرمين ، فكان الإثم مضاعفاً ، والذنب أشنع ، والعذر أقبح ، « ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه (١) » .

ولذلك يكثر القرآن العظيم من الرد على هذه القضية وتجليها للناس حتى لا يتخذ اليهود اسم الأنبياء شعاراً للخداع والتزوير !! قال تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام وبنيه :

﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ (الصافات : ١١٣) .

بل جعلها قاعدة ثابتة في كل الأمم : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهُتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد : ٢٦) .

٦٢ — اليهود بين الحيوانية والشیطانية :

فلا يصح إذن في دين الله عز وجل دعوى التفاضل بالعنصر والنسب وإنما هو قيم ومعايير ، من حققها كانت له الحسنی وزيادة ، ومن فرط فيها سقط عن درجة الاعتبار ، ولحق هو بالأنعام ، بل كان

(١) هذا ختام الحديث النبوي : « من نفس عن مؤمن كربة . . إلخ » رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

أضل سبيلا ، مهما ادعى من سمو العنصر ، ونبل الأعراق ، لأنه حينئذ يرتد إلى « عقدة الشيطان » ، و « فتنة إبليس » ، يوم تطاول بعنصره فطرد من رحمة الله ، وكان من الغاوين إلى يوم الدين !

وكذلك اليهود تماماً في الحالين (الحيوانية ، والشيطانية) :

فهم أخلق الناس بما وصفوا به أنهم : « من أب هو إبليس (١) » .

وبما وصفهم به القرآن العظيم : ﴿ ... وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ... ﴾ . (البقرة : ١٤) يعنى أحبار السوء من يهود ، الذين كانوا « الشياطين » الموسوسين للمنافقين ! ! ثم هم أخلق الناس بأوصاف الدواب والحيوانات التي أطلقوها على « الجونيم » ! !

ولذلك لم يقصد القرآن العظيم إلى السب والشتم حين قرر جملة من أوصاف اليهود الحيوانية الغليظة ، بعد ما شردوا عن أمر الله عز وجل ، بل كان القرآن العظيم في ذلك يقرر حقائق واقعية تنطبق على كل من يغير في دين الله ، أو يفترى الكذب على الله من جميع الأمم والشعوب ! !

وأوغلهم في مضمار « الحيوانية » هو أشدهم على الرحمن عتياً ، وأولجهم في « أسفل سافلين » ، من ضروب العقائد ، والخلق والدين ! ! وفي هذا يقول القرآن عن اليهود : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا

(١) راجع ما كتبناه في الفقرة رقم : ١٧ .

التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾
(سورة الجمعة : ٥) .

بل لقد بلغ اليهود من الإلحاد والعناد حداً جعل القرآن يعطيهم
من مراتب « الحيوانية » ما يتكافأ وضلالهم على سواء فيقول :
﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
(الأنفال : ٥٥) .

وأعجب مثال في القرآن العظيم يأتي في سورة الأعراف ، ختاماً
لشناعاتهم التي تحدثنا عنها سابقاً^(١) فيقول تعالى :

﴿ وَائْتِلْ عَلَيْهِمُ بَأْسَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ
فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ
يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧٥ — ١٧٧) .

ولنتأمل هذه الكلمات القرآنية الصارمة ، فإنها أوفى تقرير ،
وأدق تصوير لأحوال اليهود ، وخاصة أخبار السوء منهم !!
فهي تقرر :

١ — انسلاخ اليهود من آيات الله بعد أن أوتوها، وهذا تماماً
ما حدث منهم !

(١) راجع الفرة : ٣٧ وما بعدهما من هذا الكتاب .

٢ - إثبات الشيطان لهم : وسيطرته عليهم سيطرة كاملة حتى أصبحوا مثله (من الغاوين) !

٣ - إخلادهم إلى الطين والمادة التي أفسدت عليهم منافذ التبصر ، وردتهم إلى مراتع الحيوان في كل شيء !!

٤ - انحذارهم إلى طبيعة « الكلب » في الملهث ، والشكوى ، والتضجر ، والصياح ، والنباح بسبب وبغير سبب حتى يقول أحد المعاصرين منهم :

« إن اليهودى حقاً هو من يشجر بأن هناك (مشكلة يهودية) حتى لو عاش بمفرده في جزيرة نائية . » (١) .

ولعل هذا هو أسوأ مثل يضربه القرآن لتدلي الإنسان في مراتب ودركات « الحيوانية » ، سواء كان المثل مضروباً لرجل من بنى إسرائيل كما يرى كثير من المفسرين ، أو كان هذا مثلاً لجمهرة بنى إسرائيل في كل عصورهم كما يترجح لى من تأمل الآيات الجلية (٢) . . . !!

(١) قائل هذا هو : (أرى تاناكودار) أستاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية . ولمعرفة المزيد عن هذا راجع كتاب : « مقارنة الأديان : اليهودية » ص ٩٦ وما بعدها .

(٢) من مرجحات العموم — والله تعالى أعلم بمراده — ما يأتي :

أولاً : ورود الآيات الكريمة بعد شاعات اليهود كما قلنا ، فهي تعقيب عام على ما سبق .

ثانياً : انطباق الصفات المذكورة على جمهرة اليهود وليس على فرد منهم فقط !

ثالثاً : تصريح الآية الثانية بالعموم (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) . =

٦٣ — أكذوبة العبقرية اليهودية :

وفى ختام هذا ينبغي التنبيه إلى ما يشاع الآن — بكثرة مقصودة — عن العبقرية اليهودية ، والتفوق اليهودى ، وأمثال هذا من الدعاوى التى يروجها اليهود عن أنفسهم ، أو يروجها لهم غيرهم من عبيد الشهوات !!

وفصل الخطاب أن اليهود كغيرهم من البشر: فيهم الذكى الأملعى ، وفيهم الأبله الغبى ، وما بينهما ، ولا يتميزون على الناس بشئ من أصل الحلقة ، أو طبائع الفطرة !!

وإنما يقع التمايز فى الصفات المكتسبة ، والأخلاق العملية ، وقد رأينا حال اليهود فى هذا الباب ، ولهذا نستطيع القول — من هذا الجانب — بأن اليهود يتميزون عن الناس بضرب واحد من « العبقرية الشيطانية » الشريرة !!

وهذا النوع من « العبقرية » هو الذى جعل لهم مكاناً مرموقاً فى دنيا « المال والاقتصاد » وخاصة فى عالمنا المعاصر (١) !!

ولم يكن هذا قط بسبب التفوق الذهنى ، أو السبق العلمى ، أو القدرة على الابتكار والتفكير ، وإنما كان بسبب الأساليب الخبيثة ،

= رابعاً : تأكيد الآية الثالثة لهذا المعنى (ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا ..).

خامساً : اتفاق الآيتين مع تصريح آية سورة الجمعة (بئس مثل القوم الذين كذبوا ..) ومعلوم — إجمالاً — أن مثل الحمار فيها مضروب لليهود جميعاً والله أعلم بأسرار كتابه .

(١) راجع أكاذيب اليهود عن « عبقريتهم » المزعومة ص ٢٨ ، ٢٩ من كتاب « كيف نفهم اليهود » ؟ .

والوسائل الخسيسة التي تنبعث من صفاتهم السابقة ، والتي تبلغ قاع
الحضيض في السقوط والانحدار والاخلال !!

إنها — بلا مبالغة ولا إسفاف — عبقرية « الكلاب ، وشر الدواب »
كما وصفهم القرآن بحق !!

والدراسات العالمية تجمع على أن « روافد المال اليهودي » الهائلة
تنبع من مستنقعات الإثم والخطيئة في العالم كله (١) !

فهم وراء تجارة الخمر ، والمسكرات في معظم أنحاء العالم ،
وهم منظمو دور البغاء والدعارة ، وهم المسيطرون على كتب
الجنس ، ومجلاته ، وأشرطته ، وصوره الفاضحة ، وألوانه
الساقطة !!

وهم الذين حولوا الرياضة البدنية من تنافس شريف المقاصد إلى
مقامرات ، ومضاربات ، ومراهنات ملبسة بكل وسائل الغش ،
والخداع ، وانعدام الضمير !! *

هذا فضلاً عن الربا ، والاحتكار ، والتلاعب بالأسعار (٢) وغير
ذلك من خلقهم القديم (٣) الذي عوقبوا به من قبل على ما قرره

(١) لما كان الإسلام يحرم وسائل اليهود تحريماً قاطعاً فشلوا في السيطرة على الاقتصاد
الإسلامي مادام المسلمون متمسكين بدينهم العظيم ، ثم ضاعوا لما ضيعوا !!

(٢) راجع في هذا الدراسة العلمية القيمة عن اليهود في كتاب « اليهودي العالمي » .
وراجع كتاب : « كيف نفهم اليهود » ص ٦١ وما بعدها ، (وانظر ما كتبه في
الفقرة : ٢١) .

(٣) لمعرفة الجذور الدينية للانحراف اليهودي في كل المعاملات راجع كتاب : « همجية
التعاليم الصهيونية » وكتاب : « الكنز المرصود في قواعد التلمود » .

القرآن العظيم : ﴿ فَيُظْلِمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتِ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَعِزَّهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ تَهَوَّأَ عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ . . . ﴾
(سورة النساء : ١٦٠ — ١٦١) .

وكفى بالله شهيداً على عبقرية اليهود المفترة !!

٦٤ — التاسع : ملازمة الذلة والمسكنة :

لقد رأينا كيف انحط وهوى « الشعب المختار » ، بذنوبه الفاحشة ، وضلالاته الغلاظ !!

ولقد وضعهم رب العالمين على ذروة شاهقة من التكريم والعناية ، وأنذرهم من أول الطريق أن يتدحرجوا إلى الهاوية :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى * كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ، وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ (سورة طه : ٨٠ ، ٨١) .

ولكنهم أشركوا بربهم ، وعبدوا العجل ، وتمادوا في المعاصي فخروا من السماء ، وهوت بهم ريح الضلالة إلى مكان سحيق ، بل لا نغالي إذا قلنا إنهم لم يستقروا بعد على قرار ، فلا يزالون يتجملجلون في أسفل سافلين ، ويغوصون في ظلمات الإلحاد والفساد كل حين !!

ولقد أورثهم شؤم هذه المعاصي ذلاً رهيباً لغير الله عز وجل ،
وخواء نفسياً مخيفاً ، وخوفاً داخلياً رعبياً ، شأن الذي « يَهْوَى » من
علياء السماء إلى مجهول سحيق !!

ولقد مرت على اليهود القرون في إثر القرون ، وربما قامت لهم
دول ، وملكوا من الدنيا المال والعقار ، وسكنوا الحصون والآطام ،
ولكن العلة تنبعث من داخلهم ، فتجعلهم يتلفتون تلفت الخائف
المدعور ، أو الهارب الموتر ، أو الكذوب المريب ، وكأنهم بناء
يتداعى من داخله ، أو كأن مقومات النفس الإنسانية فيهم خاوية على
عروشها ، ساقطة من قواعد راعها رغم طلائها الخارجى الزائف !!

ولقد طبعتهم هذه العلة بطابعها الخيف فصارت نفسياتهم
مهيضة ، وقلوبهم مريضة ، وشخصياتهم يغشاها الانسار والانكسار
من كل مكان !!

ويسجل القرآن العظيم هذه الظاهرة العجيبة التى تفردوا بها بين
الأمم فيقول فى سورة البقرة :

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِعُصَابٍ مِنَ اللَّهِ ،
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ،
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٦١) .

فهذه الخصلة المركبة من « الذلة والمسكنة » ضربة لازب من
ضربات القدر الإلهى على اليهود ، وهى تأتى على خلاف دعواهم فى
الاستعلاء ، وغرورهم الجاهلى بالاختيار والاصطفاء ، بل هى نقض
عملى لكل أوهامهم فى هذا الباب !

ولم يضرها القدر العادل عليهم بحكم الجيلة ، ولا بأصل
الخلقة ، وإنما هي حكم أمضاه الله تعالى عليهم عقوبة ونكالا
بذنوبهم ، كما أكدت ذلك الآية الكريمة مرتين : على سبيل التفصيل
أولاً : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ ... ﴾ .

وعلى سبيل الإجمال ثانياً : « ذَلِكْ بِمَا عَصَوْا ... » .

واستمر هذا الحكم في أجيالهم عدلاً وإنصافاً ، لأنهم أمة سواء
في الضلالة والبهتان ، ردت نفسها إلى أسفل سافلين بعد التكريم ،
ورضيت أخراهم صنيع أولاهم ، بل فعلته ، وحرصت عليه ، ونقله
كل جيل إلى خلفه نقل العقائد والدين !!

ويسجل القرآن العظيم هذا المعنى ويؤكدده مرة أخرى ،
ويضيف حقائق جديدة تكتمل بها صورة هذا القضاء الحتمي في واقع
الحياة :

﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيَّنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ
مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (آل عمران : ١١٢) .

فالآية الكريمة اتفقت تماماً مع سابقتها في الحكم ، وأسبابه ،
وزادت أمرين على جانب كبير من الأهمية :

الأول : أن هذا الحكم قد ضرب عليهم في كل مكان يجلون
فيه ، أو في كل قتال يشتبكون فيه مع المؤمنين (أينما ثقفوا) .

الثاني : يحدث أحياناً « استثناء » تقتضيه حكمة الله تعالى ، وعلمه المحيط بكل شيء ، فيمدّهم بأسباب منه ، أو من بعض الناس ، ليتمّ سبحانه وتعالى أمراً ما في أرضه وخلقه ! !

وهذا واقعهم المتكرر رغم امتلاكهم المال ، والنفوذ ، وتلاعبيهم بأسرار الأمم ، وأسعارها ، وأسواقها ، فهم لا يرفعون رؤوسهم إلا « بحبل » ما . وقد رأينا مصداق ذلك في حماية دول الطغيان العالمي لهم مثل :

إنجلترا ، ثم أمريكا ، وروسيا إلى أن يأتي وعد الله عز وجل ، وإنه لآت لا ريب فيه بإذن الله ! !

وهو كما قلنا « استثناء » إلى حين ، ولأمر حكيم ، وأول حكمه الظاهرة تأديب المسلمين الذين خانوا أمانة الوحي ، واتخذوا هذا القرآن مهجوراً ، على ما سنشرحه في خاتمة هذا البحث إن شاء الله تعالى ! !

فإذا جاء وعد الله عز وجل ، وقامت « القوة المؤمنة » في الأرض ، فسيعود اليهودى — بإذن الله — إلى صورته التاريخية : تائهاً ، شريداً ، خائفاً مذعوراً ، تغشاه « الذلة والمسكنة » ، مثله « كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث (١) » .

ونحسب بل نرجح — والله أعلم — أن هذا هو ما أشار إليه القرآن العظيم ، في العهد المكي ، خطاباً لليهود :

(١) راجع ما كتبناه حول هذه الآية الكريمة في الفقرتين : ٣٧ ، ٦٢ .

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَبِيرًا ﴾ (١) .

وفي هذا بلاغ ومقنع للمؤمنين الواعين ، فلا يستخفهم الذين لا يوقنون !!

بل في هذا بيان وبرهان للمنهزمين من أمتنا ، الذين خدعتهم صورة اليهودى المعاصر ، فجمدوا على مكانتهم يائسين « تلور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت (٢) » ، أو راحوا يتساءلون عن أنباء القرآن العظيم شاكين أو شاكّين ؟ !!

ألا فليعلم الناس جميعاً أن القرآن كله حق وصدق ، وأن العيب فينا نحن ، وصدق الله القائل في محكم كتابه :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَل لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنعام : ١١٥) .

﴿ . . . إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران : ٩) .

٦٥ - العاشر : « تأصل الجبن والخضوع للقوة فقط » :

وهذا مفتاح أساسى وخطير لفهم « النفسية اليهودية » ، وإتقان التعامل معها من خلاله ، بعد أن هتك القرآن سترها ، وفضح

(١) راجع ما كتبه حول هذه الآيات الكريمة فى آخر رقم : ٣٥ .

(٢) هذا من وصف القرآن العظيم للمنافقين (سورة الأحزاب : ١٩) .

وراجع ما كتبه حول النصر والهزيمة فى الفقرات : ٧٧ - ٨٠ .

نسيحها الهش ، الذى تستره بالخديعة والمكر تارة ، أو بالوحشية والضراوة كلما لاحت لها فرصة أو غفلة تارة أخرى ! !

ولأمر حكيم ، وسر معجز عرض القرآن لهذا الأمر بالبيان الوافى ، والتفصيل ، والتمثيل ، والتعميم !

فقد أوضح تأصل الجبن فى بنائهم النفسى ، وتمكن الخور فى كيانهم الأخلاقى ، إلا ما كان من قبيل الدس والتآمر ، فهم فى ذلك أبناء إبليس ، أو أساندة الشياطين ، شأن كل خسيس ساقط النفس والكرامة ! !

لقد زعم اليهود تفردهم بولاية الله تعالى ، واحتكروا الجنة لأنفسهم من دون الناس ، فتحداهم القرآن أن يتمنوا الموت ليفضوا إلى هذا النعيم المقيم إن كانوا صادقين فى دعواهم ! !

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١) . (البقرة : ٩٤)
ولكن النفسية المؤسسة على الجبن خارت وتقاعت عن مجرد التمنى ، لكذب الدعوى ، وفداحة الذنوب ، وجبن الطبع المستمر المتعاقب فى أجيال اليهود ! !

ولذلك حكم عليهم القرآن حكماً عاماً صارماً فقال :

﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾
(البقرة : ٩٥)

(١) وقد تكرر هذا فى سورة الجمعة : ٥ - ٨ .

ثم أبرز إحدى القواعد الأساسية في تركيبهم النفسى ، والتي غلبوا فيها المشركين أنفسهم ، فقال تعالى :

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ أَنْ يُعْمَرَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (البقرة : ٩٦) .

فاليهودى أحرص الناس جميعاً على حياته !

وهو أحرص عليها من المشرك الذى لا يؤمن بحياة وراء دنياه !
وأمنية اليهودى الكبرى أن يعمر فى الأرض أطول مدة ممكنة ،
لا أن يموت فى شيخوخة الإنسان المعتادة ، فضلاً عن أن يقتل فى شرخ
الشباب وزهرة الصبا !!

وهذه « حقيقة النفسية اليهودية » بيقين ، رغم أنف المظاهر ،
والدعاوى ، وجعجعة اليهود الفارغة ، وقد لاحظ ذلك كثير من
المفكرين والدارسين (١) ، بل يعترف اليهود بذلك .

يقول الكاتب اليهودى برنارد لازار :

« . . . إن الثواب الوحيد الذى كان البررة الصلاح من آل
إسرائيل يرجونه هو أن يجود الله عليهم بحياة طويلة ، باسمه الأفراح ،
واسعة العيش . . . وكان اليهودى يرى نهاية الوجود بنهاية الحياة . . .
ويرى أن لا سعادة للإنسان إلا بطيبات الأرض . . . » (٢) .

(١) راجع كتاب « اليهود » لزهدي الفاتح ص ٥٢ .

(٢) راجع كتاب « اليهود فى القرآن » ص ٤٦ .

وإذا كان هذا حال صلاحهم فإن فجارهم يعبدون « المادة » من دون الله تعالى ، وعلى هذا الأساس وضع اليهودى « كارل ماركس » شيوعيته المادية ، التلمودية ، أو كما يصفه برنارد لازار بأنه :

« . . ذو فكر تلمودى عميق ومشرق . . غارق فى المذهب المادى العبرى العريق ، الذى يحلم دوماً بجنة على الأرض ، كافراً (بمصادفة جنة عدن بعد الممات) . . » (١) .

وتضيف الكاتبة الأمريكية « اليهودية » التى أسلمت وتسمت باسم : (مريم جميلة) — تضيف بياناً لواقع الحياة اليهودية التى عاشته فتقول : « لم أجد أى إجابة على مسألة الموت فى اليهودية التقليدية ، فالتلمود يقول : بأن الحياة الدنيا فى أسوأ صورها أفضل من الموت فى أشرف مقاماته !!

وكانت فلسفة والدى تتلخص فى أن على الواحد منا تجنب التفكير فى الموت ، وأن يتمتع بمباهج الحياة بأقصى ما يستطيع ، فالغاية من الوجود الإنسانى فى رأيهم هى المتعة والبهجة . . » (٢) .

(١) راجع كتاب (من يحكم واشنطن وموسكو) ؟ ص ١٦٥ نقلاً عن كتاب لازار (العداء للسامية) ص ٣٤٦ بالفرنسية .

وفى الكتب اليهودية — وخاصة التلمود — الكثير من هذه المعانى التى تصدق القرآن العظيم وتثبت أمانة البلاغ النبوى الكريم ، والحمد لله رب العالمين .

(٢) راجع كتاب « رجال ونساء أسلموا » الحلقة : ١ ص ٥٢ (قصة إسلام مريم جميلة) .

٦٦ — جبن في كل الأجيال :

وقد أكثر القرآن العظيم من تأكيد هذه الحقيقة المقررة عن اليهود ، وتدعيمها بالأدلة التاريخية المتكررة في كل عصورهم ، حتى يتمنح تأصل الجبن والحرص في نفوسهم ، وعمومه في كل أجيالهم مهما تباعدت في الزمان أو المكان ومن ذلك :

أولاً : في عهد موسى عليه السلام :

فقد صاروا أمثلة الدهر في الجبن والخور حين رفضوا دخول « الأرض المقدسة » رغم قيادة موسى عليهم ، وإخباره بأن الله كتبها لهم ، ثم هو ما كذبهم قط ، وقد رأوا على يديه الآيات والمعجزات تباعاً ، ولذلك يقص القرآن هذه القصة في سياق بالغ التنديد والتقريع لهذه النفسية المتهاكة ، والمتهافة في ساعة الجد :

﴿ يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَقْلبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (المائدة : ٢١) .

وحينئذ يندلع الجبن اليهودي على أبشع هيئاته ، فيطلب الجنود من قائدهم أغرب شيء في تاريخ الحروب : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ (المائدة : ٢٢) .

وحين انبرت القلة المؤمنة — على ندرتها فيهم — وأخذت تذكرهم بالعقيدة ، وتناشدهم الإيمان بالله ، والتوكل عليه وحده ، لم يزدهم ذلك إلا عناداً وإلحاداً ، ونكوصاً عن الجهاد ، وضناً بالحياة

رغم كل الضمانات : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿ (المائدة : ٢٣ — ٢٤) .

ثم جرف طوفان الجبن كل شيء أمامه ، إلى الدرجة التي جعلت موسى عليه السلام يستئس منهم جملة ، وينادى فى حزن أسيف : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿ (المائدة : ٢٥ — ٢٦) .

ثانياً : بعد موسى عليه السلام بعدة قرون :

وكانوا قد دخلوا الأرض المقدسة بعد النيه ، وقامت لهم دولة فيها ، لم تلبث أن غصت بكافة الشرور والآثام ، واندلعت فيها الجرائم والمفاسد ، وحيث سيطر الله تعالى عليهم — بدونهم — الكفار من حولهم ، فأذاقوهم الذل والهوان ، وجعلوهم فى أمر مرج ، وعيش بغىض !!

ولما طال عليهم الإذلال ، هرعوا إلى نبي لهم يطلبون منه أن يعين لهم ملكاً يقودهم ليحاربوا أعداءهم !!

فارتاب نبيهم في صدقهم ، وصارحهم بجنهم ، وحرصهم على حياتهم وفرارهم في ساعة العسرة ، ولكنهم أكدوا له رغبتهم في القتال خروجاً من الذل المضروب عليهم !!

وصدقت توقعات النبي الكريم ، فغلب جنهم المتأصل على جمهورهم في أخرج الأوقات ، وفي ذلك يقول القرآن العظيم :

﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : ٢٤٦) .

وهذه القلة التي ثبتت في أول الطريق ، وخرجت مع القائد الجديد : (طالوت) ، خارت عزيمتها في أول ابتلاء ، فعبوا من نهر الأردن ، وكرعوا مخالفين التحذير الصارم :

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بَنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ (البقرة : ٢٤٩) .

ولما عبرت هذه القلة ، وهي صفوة الصفوة من قومهم ، ورأوا العدو تزلزلت قلوبهم ، لولا ثبات حفنة من أولى النجدة والإيمان ، والاعتقاد والتوكل على الله ، هؤلاء الذين أنزل الله عليهم نصره ، وأجرى بهم قدره : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا

اللَّهُ كَمْ مِنْ فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ (القصة كاملة في سورة البقرة : ٢٤٦ — ٢٥١) .

ثالثاً : في صدر الإسلام :

حيث نتجاوز آماداً شاسعة من الزمان ، وحيث كان لليهود مركز ممتاز في جزيرة العرب ، ويمتلكون أقوى القلاع والحصون في « يثرب » وما حولها وما وراءها إلى « خير » !!

وقد أظهروا ضروباً من الخسة ، والخيانة ، والغدر ضد النبي ﷺ ، وأصحابه ، مما انتهى إلى الصدام المسلح بينهم وبين الأمة المسلمة الجديدة ، وأفضى إلى هزيمة اليهود ، واستئصال قوتهم من الجزيرة كلها !!

ويقرر القرآن العظيم جملة من الحقائق عنهم في هذا العهد تتفق مع طبيعتهم في كل العصور ، وتتجاوز ظروف هذه الجولة الأولى لتصبح قواعد أصيلة ، ومعايير صارمة لوزن هذه الشخصية المعقدة ، وإتقان التعامل معها من خلالها وإلى يوم القيامة ، ومن ذلك :

١ — أنهم جناء لا يشبتون في صدام صريح ، أو لقاء مكشوف : ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَذْبَارَ . . . ﴾ (آل عمران : ١١١) .

٢ — وهم يعتمدون اعتماداً كلياً على الوسائل المادية إلى درجة الكفر : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ

لَأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا طَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ
مِنَ اللَّهِ ﴿ (الحشر : ٢)

٣ - وهم يخافون « القوة المؤمنة » خوفاً رهيباً ، لا يماثله
شيء ، بل هو أكثر من خوفهم الله عز وجل : ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً
فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (١٣) .

٤ - وهم يسترون الجن بغطاء كثيف من القلاع والحصون ،
وتنخلع قلوبهم خارجها : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ . . ﴾ (١٤) .

٥ - وهم أشد الناس تناكراً وشتاتاً من داخلهم رغم الصورة
الظاهرة التي يرسمونها لأنفسهم : ﴿ بِأَنَّهُمْ يَنْهَضُونَ شَدِيدًا يُحَسِبُهُمْ
جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٤) .

وهذه الحقائق القاطعة جاءت عنهم في سورة الحشر التي عاجلت
معركة المسلمين مع يهود « بنى النضير » !
وهي لا تزال صفات راسخة في « الشخصية اليهودية »
المعاصرة (١) !!

وكل واحدة منها تمثل مقتلًا قاتلاً من مقاتلهم ، ومفصلاً
فاصلاً لهزيمتهم ، كشفه القرآن للمؤمنين ، لو أحسنوا التلقى عن ربهم
وكتابه العظيم !!

(١) راجع كتاب : « طريق النصر في معركة النازي » فصل عوامل ضعف إسرائيل (وخاصة
فقرة : ٨) حيث يصف مؤلفه المعركة الوحيدة التي خاضها اليهود في العراق
عام ١٩٤٨ وهزموا فيها هزيمة منكزة !!

٦٧- مخطط وتصميم المعركة في ضوء القرآن :

ولو كان المسلمون اليوم يأخذون « تصميم المعركة » ، « ونظمتها الحركي » من القرآن العظيم لتهافت أمامهم — من أول الطريق — أسطورة « الجندي الذي لا يقهر » ، و « المقاتل الصبور » ، وجيل الصابرا « وأمثال ذلك من دعاوى اليهودية ، والتي ما طفحت على سطح الأحداث إلا حين اتخذ المسلمون « هذا القرآن مهجوراً » !!

لو أخذ المسلمون من القرآن — وخاصة المنظمات الفلسطينية — لزلزلنا أو دمرنا دولة الشيطان الإسرائيلية ، وبهذا « المفتاح » وحده على المدى القريب ، أو البعيد ، بإذن الله عز وجل !!

أجل والله !

لو نقلت المعركة إلى داخل تجمعات العدو ، وهدد اليهودي — دائماً — في أثمن ما يحرص ويحرص عليه (وهو حياته) لاختلت هندسة المجتمع اليهودي المتبحر ، ولعادت « حركة الهجرة » تطرد عكساً ، ولتفجرا الجبن اليهودي على حقيقته حين يتبدد الأمن النفسي ، والأمل الأكبر !!

والطبع غلاب !

والجبان لا يمسه شيء بعد !

وصدق الله :

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ . . ﴾ .

ومن العجيب أن القرآن العظيم يعلمنا نمط « اقتحام الأبواب »
على العدو ، يعلمنا هذا على لسان رجلين صالحين من بنى إسرائيل
أنفسهم ، لأن المعركة بين الحق والباطل مكرورة ، والتجربة
معروضة !

فإذا جاءت مرحلة النزال والصدام العام ، فإن النمط القرآنى
يوجب استدراجهم — دائماً — خارج الحصون ، وترويعهم بقوة
الإيمان تحت راية هذا القرآن !!

ومع الأسى والأسف لا تزال المعارك كلها تدور بعيداً عن هذه
الساحة الربانية ، ولذلك « نسمع جعجعة ولا نرى طحناً » !!
إن المنظمات القائمة تعجز عن تحقيق هذا التصحيح الوحيد
لمسار المعركة مع اليهود ، ليس بسبب الظروف السياسية وحدها ،
ولنما — ابتداءً — بسبب تركيبها الفكرى والاعتقادى !!

ولأنها لا تملك رصيداً من الرجال الذين ينطلقون من قواعد
الإيمان ، ويحرصون على الموت حرص اليهودى على الحياة !!

إن هذه النماذج لا توجد إلا تحت راية القرآن ، ولا تبنى إلا فى
ضوء الإسلام ، ولا يحفزها إلا نداؤها الأصيل : الجهاد فى سبيل
الله ، ولا يؤجج شوقها للشهادة إلا رياح الجنة !

فهل آن لأمتنا أن تعرف الطريق ؟ !

وهل آن لها أن تنبذ — فى قوة — أصنام الجاهلية المعاصرة من :
« علمانية » وشيوعية ، وما بينهما من دعاوى اليسارية ، والقومية ،

والوطنية فإنها لا تغنى شيئاً في معارك الوجود ، وصادم المصير ؟ ! !

٦٨ — اليهود عبيد القوة :

على أن هناك حقيقة خطيرة يسجلها القرآن على اليهود ،
ويكشفها للمؤمنين عارية من كل زيف وبهرج ! !

إن اليهود لا يقيمون وزناً لكلمة الشرف ، ولا لمنطق
الأخلاق ، ولا لمعايير الضمير والحياء ، بل هذا كله مخالف لدينهم
وتلمودهم الحقود ! !

إن اللغة الوحيدة التي يفهمونها ، ويحسبون حسابها ، ويخرون
لها ركعاً وسجوداً هي « لغة القوة » و « منطق البطش
والعنف » ! !

إن هذا النوع الذي تأصل الجبن في أعماقه ، وسرت الصفاقة في
أخلاقه ، لا سبيل إلى رده إلا بالترهيب ، والضرب العنيف ! !
ليقل اليهود: عنا اليوم أننا أعداء « السامية » مع أننا ساميون ! !
وليقولوا أننا من أنصار « النازية » مع أنهم هم آباؤها
الأقدمون ! !

لكن ستبقى الحقيقة أبلغ من بهتانهم !
وهي أننا مسلمون قرآنيون !
نجلى للمؤمنين حقائق الوحي الأعلى ، ومقرراته عن هذا الشعب
الكنود ! !

ليكونوا على بينة في المعركة الهائلة بين الحق والباطل !
بل في (صدام الوجود) بين :
هذا القرآن العظيم !
والتلمود الحقود ! !

٦٩ — الداء والدواء في ضوء القرآن :

والقرآن العظيم يقرر أن هذا الداء قديم متأصل في اليهود ، ومن
أمثلته :

(أ) أنهم كانوا تحت قهر فرعون وطغيانه أذلة طائعين
خاضعين ، بل ألفوا هذه الحياة المهينة ، وسكنوا إليها ! !
فلما منَّ الله عليهم ، وأخرجهم من بطش فرعون وجنوده ،
قابلوا النعمة بالتمرد ، والاستطالة ، والبغى ، حتى عبدوا العجل ،
واستخفوا بنبيهم الحليم هارون عليه السلام ، وكادوا يقتلونه ،
وما ردعهم إلا موسى عليه السلام بالشدة والصرامة البالغة كما قال
للسامري صانع العجل : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ (سورة طه : ٩٧) .

(ب) ولما جاءتهم الشريعة الإلهية الهادية استخفوا بها ، ورفضوا
قبولها ، وقالوا في وقاحة « سمعنا وعصينا » ، وحينئذ رفع الله تعالى
فوقهم الطور ، وأنذرهم الإبادة الشاملة فانقادوا رهباً ، وفرعاً ،
وخروا للقوة ساجدين : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا
أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ . . . ﴾ (الأعراف : ١٧١)

(ج) وفي أول صراعهم مع المسلمين تبدت خليقتهم على حقيقتها استهانة بالمسلمين ، واستضعافاً لهم في أول نشأتهم ، فنزل القرآن العظيم يشخص « داء اليهود » في كلمات قاطعة :

﴿ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ (الأنفال : ٥٦) .

والمعنى : لا يتقون الله تعالى !

ولا يتقون سوء السيرة !

ولا لوم الناس لهم !

ولا يتقون مغبة العواقب^(١) ، بل يتهافون على الشر إذا لاحت لهم فرصة الكسب الرخيص غدرًا وغيلة ! !

ولذلك يحدد القرآن العظيم علاج هذا النوع الانتهازي « بالدواء الوحيد » المفيد ، فيقول عقب الآية السابقة : ﴿ فَأَمَّا تَثَقَفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ وَأَمَّا تَحَافُنْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿ (الأنفال : ٥٧ ، ٥٨) .

فحين تصل الأمور إلى الحرب — فعلاً — فلا يجدى مع اليهودى إلا ضربة قاصمة تسحق المحاربين ، وتبدد شمل من وراءهم من قومهم خوفاً ، وهلعاً ، وحرصاً على الحياة !

(١) كل هذه المعاني مأخوذة من حذف المفعول للتعميم ، ولتذهب فيه النفس كل مذهب وحيثما ذهب في تقديره فهي صادقة ، وهذا اللون من الإعجاز بالإيجاز ! !

وحين تظهر منهم نذر الغدر وأماراته فلا بد من سبقهم بقطع طريق الخيانة عليهم ، ونبذ عهودهم (١) — علناً بلا خيانة — حتى لا ينسجوا خيوط الغدر في ظل هذه العهود ، كدأهم دائماً !!

وهناك وسيلة ناجعة النتائج نبه عليها القرآن العظيم وهي :
« الإعداد واتخاذ أسباب القوة » لإرهاب الأعداء جميعاً حين يرون القوة ناهضة حاضرة !!

وهذه الوسيلة تطابق « النفسية اليهودية » تماماً ، لأن اليهود حين يرون القوة من غيرهم يبتلعون أحقادهم ، وتسرى الرهبة غارمة في صدورهم ، فلا يجروؤن على العدوان ، وتلك طبيعتهم لا تكاد تتخلف أبداً .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾
(الأنفال : ٦٠) .

فإذا حدث هذا الذي حدده القرآن العظيم من :

١ — الضربة الموجهة لهم في ساحة الحرب
(الآية ٥٧) .

٢ — نبذ عهودهم عند ترجيح خيانتهم المعتادة
(الآية ٥٨) .

(١) راجع ما كتبه عن العهد النبوي مع اليهود (فقرة : ٤٠) ، وعن عدم جواز معاهدتهم الآن (فقرة : ٧٥) .

٣ — المحافظة دائماً على قوة تهرب وتردع الأعداء . .
(الآية : ٦٠) .

إذا تحقق هذا فحينئذ تأتى الآية الكريمة : (٦١) فى موضعها
من السياق : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

لأن الحرب ليست غاية فى ذاتها ، والسلام — بهذه الكيفية —
يكون سلاماً عزيزاً ترد به حقوق المسلمين ، وتصان به كرامتهم
وديارهم ، فضلاً عن دينهم !!

أما اتخاذ الآية الجليلة مبرراً لصلح هزبل ، أو سلام ذليل فذلك
تطاول على القرآن العظيم ، وتلاعب بأحكامه ، واستخفاف هازل
بدين الجهاد والاستشهاد !!

٧٠ — المفتاح الحادى عشر : وحدة النفسية وتمائل النقائص :

ولقد قررنا هذا المعنى — على ضوء القرآن العظيم — وكررناه
مراراً فيما سبق ، ولكننا نبرزه هنا « مفتاحاً » قائماً برأسه ، وغرضاً
مستقلاً بنفسه ، لأهميته البالغة فى فهم النفسية اليهودية ، وإتقان
التعامل معها على أساسه ، ولرد تلبيسات اليهود حين يزعمون أن
الأحكام التى صدرت عليهم ، والنقائص التى ذكرت عنهم ،
والأوصاف التى دمغوا بها ، ليس لها صفة « التعميم » ، وإنما هى

مخصوصة بأزمائها ، وأجياهاها^(١) ، هذا إن اعترفوا بأصلها ، ولم ينكروها من أساسها كما فعلوا مراراً مع النبي ﷺ !

والمأمل في حديث القرآن العظيم عن بنى إسرائيل يجد فيه « ظاهرة » عجيبة ، غير معهودة في الخطاب ، ولا مألوفة في العتاب ، أو الحساب أو العقاب ، إذ يخاطب الأخلاف منهم بذنوب الأسلاف ، ويحاسب الحاضرين عن سفاهات الغابرين ، ويحكم على أجيالهم — حتى المقبلة منها — بأدوات الحصر والعموم ، ويدمغهم جميعاً باللعة والغضب ، ويؤذنهم من قديم بأن الله سيبعث عليهم سوء العذاب إلى يوم القيامة ، إلا قلتهم الصالحة :

وَمِنْ أَمْثَلِ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ، قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٨٣) .

والآية الكريمة تحكى مقالة يهود المدينة . وتسند مجيء الرسل السابقين وقتلهم ، إلى هؤلاء القاطنين وراء تخوم الجزيرة ورمالها الشاسعة ، بعيداً عن مكان « المجيء والقتل » بمئات الأميال ، وعن زمانهما بمئات السنين ، وعن أجيالهما بعدد من الأجداد والقرون !!

(١) وهذا هو المدخل الذى خدعوا به « المجمع المسكونى الكاثولىكى » حتى أصدر « وثيقة تبرئة اليهود من قتل المسيح » ! ومع اعتقادنا بعدم قتله إلا أن اليهود كانوا أحرص الناس على ذلك ، وقد حاولوه فعلاً (راجع تفاصيل هذه الوثيقة العجيبة في كتاب « إسرائيل حُرِّفَت الأناجيل . . . » ص ٢٢ وما بعدها !!)

ويقول تعالى في مثل هذا المعنى عن يهود المدينة أيضاً :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ، قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة : ٩١) .

إنها هنا البتة « نفسية واحدة » متماثلة الخصائص والنقائص يتوجه إليها الخطاب والحساب على درجة واحدة ، بل يأتي عليها الحكم عاماً مطرداً لأنها لا تتغير قط عبر الزمان ، والمكان ، والأجيال !!

وفي هذا يقول عز وجل :

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ، كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (المائدة : ٧٠) .

وربما تفاوتت أجيالهم في درجة السوء ، على قاعدة « بعض الشر أهون من بعض » ، ولكنهم جميعاً يطردون على الأصل ، ويدورون حول محور واحد من الضلالة والبهتان ، على ما قرره القرآن :

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ (النساء : ١٥٣) .

فالسائلون هم يهود المدينة ، يطردون على داء قومهم القديم من عهد موسى حين سأله أجدادهم رؤية الله تعالى جهرة . . . !!

ولهذا التماثل النفسى فى أصل الداء تسند الآية سؤال موسى عليه السلام للضمير العائد إلى « أهل الكتاب » الذين سألوا محمداً ﷺ ، رغم الفجوة الزمنية الهائلة بين العهدين !!

٧١ - والسؤال هنا :

كيف يصح الحكم على اليهود جميعاً ، حكماً عاماً ، تدمغ به أجيالهم على امتداد التاريخ : غابره ، وحاضره ، وقابله ؟ !
والجواب :

أن هذا هو حكم الله العليم الخبير ، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يظلم أحداً من خلقه ، والذى تميز حكمه جل شأنه على اليهود بشيئين :

الأول : التكرار الدائم بأنه لم يظلم اليهود ولكنهم كانوا هم الظالمين ، المفترين ، المعتدين فى كل أدوار تاريخهم^(١) .

الثانى : الاستثناء الدائم للقلة الصالحة منهم ، وعزلها بعيداً عن الأحكام ، والحساب ، والعذاب ، بل والثناء عليها ثناء عاطراً فى كثير من المواقف !

٧٢ - السبب فى « تعميم الحكم على اليهود » :

ليس السبب إذاً هو أن الله تعالى غضب على المخالفين من أجيالهم

(١) راجع ما قلناه فى هذه المسألة فى الفقرة رقم : ٣٨ .

الأولى فلعنهم ، وجعلها كلمة باقية في أعقابهم ، وضربة لازب عليهم
لا يملكون منها فككاً ولا خلاصاً... !!
وإنما سبب هذا التعميم هو أن « اليهود » يشكّلون « أمة
واحدة » متماثلة النقائص النفسية والخلقية ، تفيض لؤماً وغدراً ،
وتطفح حقداً وكيداً ، وتتمادى طغياناً وكفراً كما رأيناهم عبر تاريخهم
كله ، رغم كثرة النذر ، والرسل ، والنعم ، والآيات البينات ،
والعفو المتكرر عن جرائمهم وشناعاتهم ، وكل ذلك قد سجله
القرآن العظيم تسجيلاً وافياً مبيناً !!

٧٣ — تشابهت قلوبهم :

ولقد تواطأت أجيالهم على تحريف الوحي الإلهي ، واختراع
عقائد وأخلاق ، وشرائع وشعائر نسبوها إليه افتراء ، وجعلوها
دينهم ، وقد تجسست كما بينا في « التلمود الحقود » الذي طبعهم بعده
على لون ثابت وواحد من ضلال التربية ، وفساد العقيدة ، والانحراف
السلوك ، لأنهم يستقون من معاطنه الفاسدة !!
جاء اليهودي رافع بن حريملة (المولود في يثرب بعد جيل موسى
عليه السلام بنحو ألفي سنة) يقول للنبي ﷺ :

« يا محمد إن كنت رسولاً من الله كما تقول ، فقل لله فليكلنا
حتى نسمع كلامه !! » فأنزل الله عز وجل في ذلك (١) :

(١) القصة في اليهود على ما رواه ابن إسحاق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وهذا ما نرجحه ، والآية كلها فيهم أو يدخلون فيها دخولاً أولياً (وراجع فتح القدير لمعرفة الأقوال في الآية الكريمة) .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ، كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة : ١١٨) .

فهذا كلام شنيع ، يتكرر منهم في أجيالهم المختلفة كما يقول القرآن العظيم ، والسر في هذا تحمله الجملة القرآنية البالغة غاية الإيجاز والإعجاز :

﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ !!

وفي هذا أصل الجواب ، وفصل الخطاب في تشخيص داء بنى إسرائيل الرهيب !!

إنهم أمة واحدة في العوج والالتواء ، وهم في الضلالة على كلمة سواء !!

﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ :

كفراً بالله رب العالمين !

وتكذيباً بعباده المرسلين !

وتحريفاً للوحي والدين !

ويأساً من الآخرة !

ورضاً بالحياة الدنيا !

وعبادة للذوات ، والملذات !

واستعاراً بالشهوات والشبهات !

وامتلاءً بالغل والأحقاد !

واحترافاً للتريف والإفساد !
ومن كان فى شك فليقرأ : « مفاتيح » هذه النفسية من جديد !
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ
وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (سورة ق ٣٧) .

٧٤ — بيان لأهل اليقين :

ولأمر حكيم ، وسر جليل وجه القرآن العظيم حديثه إليكم
يا أهل اليقين ، لأنكم المقصودون أولاً ببيان التشابه فى قلوب
اليهود ، كى تستخدموا هذه المعرفة فى واقع الحياة ، وفى هذه الكثرة
اليهودية العاصفة التى لا يدحضها إلا الإيمان ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يُؤْفِكُونَ ﴾ . !

فانظروا بهم تحيبون ربكم يا أهل اليقين !
وأحسنوا التلقى لهذا البيان الإلهى المبين :
﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمُكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾
(سورة الزخرف : ٤٤) .

* * *

خاتمة

« . . . كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١) »

- * سؤالان خطيران !
- * وجوابان فاصلان !
- * لا يجوز مصالحة اليهود المعتدين .
- * نداء إلى علماء الإسلام .
- * على من انتصر اليهود ؟ !
- * تأديب الشاردين عن أمر الله !
- * لا نصر إلا بالإسلام .
- * يا جند القرآن .

٧٥ - سؤالان خطيران :

بقى لنا في ختام هذه الدراسة القرآنية سؤالان خطيران يلحان في طلب الجواب ، وفصل الخطاب ، وخاصة في هذه المعركة الفاصلة التي لا تحتل أنصاف الحلول ، لأنها معركة الحياة ، والوجود ، والمصير !!

السؤال الأول :

هل يجوز مصالحة اليهود ومعاهدتهم الآن ؟ !
وقياساً على ما صنعه معهم النبي ﷺ في أول هجرته للمدينة ؟ !

والجواب :

أن هذا قياس مع « فارق خطير » يبطل به كل قياس ، بل إن هذا الفارق هو الذى هدم عهودهم التي أبرمت معهم أول مرة ، فكيف تقوم معهم عهود جديدة مع وجوده على أبشع صورته وأنواعه ؟ !

وبيان ذلك :

أن العهد النبوى مع اليهود كان عهداً مع قوم لهم أرض

و حصون ، ومال وسلطان حصلوا عليه قبل الإسلام ، وهؤلاء تجوز معاهداتهم تبعاً للمصلحة المعتبرة شرعاً !!

بل هذا حكم عام ينطبق على كل من يماثلهم ما داموا قائمين في أرضهم وديارهم ، ولم يعتدوا على المسلمين ، أو يناصبوهم العداة !!

ومن ثم فلا ينطبق هذا الحكم على اليهود — الآن — في فلسطين وما حولها ، على أى وجه من الوجوه !!

ذلك لأنهم معتدون على المسلمين ، غاصبون لأرضهم ومالهم ، مظاهرون لأعدائهم ، فضلاً عن عداوتهم الشاملة للإسلام وكتابه !! . والحكم الشرعى هو :

وجوب مقاتلة اليهود على المسلمين جميعاً ، قتالاً عاماً شاملاً حتى تكسر شوكتهم ، وتستخلص حقوق المسلمين منهم ، ولا يجوز مطلقاً إقرارهم على شيء منها بمعاهدة أو صلح ما !!

ولقد نهانا الله تعالى عن ذلك نهياً صارماً جازماً فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المتحنة : ٩) .

واليهود قد فعلوا ذلك كله ، وأرهبوا فيه ، وتمادوا على فجورهم ، ولذلك جاء ختام السورة الكريمة ينهى عن موالاتهم ، من حيث هم ، ولصفاتهم الخبيثة التى جلبت غضب الله عليهم

فيقول تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُوءُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ .

فمن عاقدهم وعاهدهم بعد ذلك ، أو تولاهم وأقرهم بشكل ما على جرائمهم فهو « ظالم » مخالف لصريح القرآن ، مشارك للمغضوب عليهم في الضلال ، مهما تقول المبطلون ، أو جادلوا في آيات الله !!

وكل امرئ حجيج نفسه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل !!

٧٦ — نداء إلى علماء الإسلام :

يا علماء الإسلام :

إن مهمتكم عظيمة ، والأمانة في أعناقكم ثقيلة ، ولا يسعكم السكوت في معارك الإسلام الخطيرة ، فالساكت عن الحق شيطان أخرس ، فاصدعوا بالحق ، وقد أخذ الله عليكم الميثاق لتبينه للناس ولا تكتُمونه !!

يا علماء الإسلام :

معاذ الله أن تكونوا كأحبار السوء من بنى إسرائيل حين حرفوا الكلم عن مواضعه ، وزيفوا دين الله على عباده !!

بل إن من غرائب المفارقات أن ينفخ « أحبار السوء » في قومهم كل معاني الاستطالة والاستعلاء بالباطل ، ثم نجد من علماء الإسلام

من يشيع في أمته الاستخذاء والتخاذل ، بسوء الإفتاء أو التأويل ،
وهم يسمعون نذير القرآن العظيم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا
أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال : ٢٧) .

يا علماء الإسلام :

احذروا أن تخدعكم « السياسة » بأهوائها الطامسة الدامسة ،
بل أصلحوها أنتم بهدى القرآن العظيم ، وطالبوها أن تسعى هي إلى
رحابه خاضعة النفس والرأس ، ولا تستنزلوا كتاب ربكم من أفقه
الأسمي إلى حضيضها البغيض !!

واذكروا — وذكروا أمتكم — قول رب العالمين في ختام سورة
« القتال » (١) :

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ
وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾

واذكروا نذيره الصارم في ختام السورة نفسها :

(١) هي سورة (محمد) ﷺ سميت بالقتال أيضاً لقوله تعالى فيها : (سورة محكمة وذكر
فيها القتال) .

وقد اشتملت السورة بالفعل على تحريض بالغ لقتال أعداء الله ، وللجهاد بالنفس
والمال ، والتنديد بمرضى القلوب الذين يجبنون ويخلون . . ، وبالمنافقين المرتدين إذ
وعدوا اليهود أن يطيعوهم في « بعض الأمر » (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل
الله سنطيعكم في بعض الأمر . .) وهذه كلها معان ذات صلة وثيقة بمعركتنا مع
أعداء الله !!

﴿..... وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ .

ثم اذكروا — وذكروا أمتكم — في ظلمات الأحداث ،
وتداعى الأعداء بيشى ربكم ، ووعدوا للعاملين المؤمنين ، ونصره
الذى يؤتاه من يشاء ، لأن بيده مقاليد السموات والأرض ، وله
القوة جميعاً ، وكفار الأرض كلهم لا يسبقونه ولا يعجزونه ، وهو
القائل سبحانه : ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ
اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران : ١٢٠) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ﴾ (سورة محمد : ٧) .

٧٧ — السؤال الثانى :

كيف ينتصر اليهود المعاصرون مع وعود القرآن بالنصر عليهم ،
وتأكيدهم لجنهم ، وحرصهم على الحياة ، ورهبتهم العارمة من
المؤمنين ؟ ! ! !

بل إن الظاهر — فى واقعنا المشاهد — هو عكس ذلك ، بدليل
أنهم زرعوا لأنفسهم دولة فى قلب بلاد المسلمين ، وقهروهم بقوة
السلاح والحرب ، وكانوا أكثر منهم نفيراً فى كل مجال ومناسبة ؟ ! !

والجواب :

إننا لا ننكر هذا الواقع المشاهد ، لأنه حقائق دامغة ملموسة ! !

لكننا نقرر أنه لا يتنافى قط مع حقيقة ما من حقائق التاريخ ،
أو خصائص الأخلاق ، أو مكونات الشخصية اليهودية التي قررها
القرآن العظيم !

بل نزيد على ذلك فنقرر :

أن هذا الواقع المفرع جاء تصديقاً وتحقيقاً لحقائق القرآن
العظيم ، ونذره الحاسمة ، وسننه الصارمة ، التي لا تتخلف
ولا تحيد !

ويتضح الجواب تماماً ، إذا تتبعنا عناصر القضية على النحو
التالى :

أولاً : من هم الذين وعدهم القرآن العظيم بالنصر على
اليهود ؟ !

لنتأمل مثالين فقط من كتاب الله تعالى (ولاحظ أرقام الآيات
جيداً) :

(أ) قوله عز شأنه :

﴿ لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ
لَا يُنْصَرُونَ ﴾ (آل عمران : ١١١) .

وهذه الآية الكريمة تقع كمحور ارتكاز بين طرفي الميزان الدقيق
لأنها تتحدث عن خصمين يصطرعان ، ولكل منهما مقوماته :

أما المؤمنون : فقد تحدثت عناصر الغلبة فيهم من الآية

« السابقة » عليها مباشرة : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

أما اليهود : فقد تحدثت عناصر هزيمتهم من الآية « اللاحقة » عليها مباشرة :

﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْثُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١١٢) .

وخلاصة الآيات الثلاث :

أن الله تعالى يعد المؤمنين — المتصفين بهذه القيم العالية — بالنصر المؤكد على اليهود .

ويحكم على اليهود بملازمة الدلة والمسكنة لهم إلا إذا اقتضت حكمة الله أمراً آخر فيمدون « بحبل من الله وحبل من الناس » ، لتحقق سنن الله في الأرض ، كما سنوضحه بعد قليل إن شاء الله تعالى !

(ب) قوله تعالى :

﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ (الحشر : ١٣ ، ١٤) .

والآيات السابقة على هاتين الآيتين تحدد صفات المؤمنين الذين يستحقون هذا الوعد الإلهي ، والذين تسرى رهبتهم عارمة في قلوب اليهود ، فتشيع في صفوفهم الرعب والذعر ، والتناكر والتشتت ، وتلزمهم جحورهم . . . ! !

إنها « صفات الإيمان » ، والتضحية ، والحب ، والإيثار ، والعبودية الصادقة لله تعالى ، والتزام سبيل المؤمنين الذين سبقونا بالإيمان (١) . . . إلخ .

وهذه الصفات هي التي أهلت المؤمنين للغلبة على اليهود ، ورشحتهم لتلقى مدد السماء ونصر الله عز وجل أول مرة ، ولا تزال قادرة على أن تؤتي أكلها كل حين بإذن الله ربها . . . !

ثانياً : من الذي تغير ؟

ولكن المسلمين مع الأسف والألمى — تغيروا وبدلوا ، وارتكسوا في الخطايا ، واهتز إيمانهم بالله اهتزازاً خطيراً حتى شاع فيهم :

الإلحاد والفساد . . !
وأصبح المعروف منكراً يطارد !
والمنكر معروفاً يحترم ويدعم !

(١) هذه المعاني مستخرجة من نصوص الآيات السابقة من سورة الحشر (٨ — ١٠) .

واستبدلوا بالوحي المنزل أهواء ابتدعوها ، أو جلبوها !!
وتحاكموا إلى القوانين الوضعية ، ومناهج الكفار . . !
وتهتكت النساء ، وانحلت الأخلاق ، واستبيح الزنى والخدان ،
وأكل الربا جهرة ، واستحلت الخمر صنعاً ، وبيعاً ،
وشرباً . . . !!

بل أصبح ذلك كله — وأشد منه — هو الواقع الراسخ ، الذى
ترى عليه الأمة ، وتقوم عليه الدولة ، وتحميه بالقوانين المجلوبة من
بلاد الكفار ، وبقوة الجيوش والشرطة والسلطان !!
ومن هنا ضل المسلمون وتاهوا !!
ولم يعودوا أهلاً لوعد القرآن العظيم !
بل أصبحوا أهلاً لوعيده الصارم ، ونذيره القاصم !!

ثالثاً : ميلاد اليهودى المعربدة فى غيبة الإسلام :

وفى هذه الظلمات العاتية ولد شيء جديد عجيب !!
ولد « اليهودى المحارب » كما يحلو لزعماء اليهود أن يسموه
غروراً واستعلاء !!

وانطلق هذا القزم الشائه معربداً فى هذا الركam المركوم ، جريئاً
على الهياكل الخربة التى نبذت دينها العظيم ، وغدت أشباحاً فارغة
لا تخيف !!

واليهودى — كما قلنا — عريق فى « الجبن والوحشية » (١) جميعاً ! .

فلما خلا له الجو صال فيهم واستطال ، واقتحم وانتقم ، وهدد وعربد لأن « مهابتهم » قد نزعت من قلبه ، « ورهبتهم » قد سقطت من صدره يوم أسقط المسلمون صفاتهم العظيمة ، التى كانت ترعع اليهودى وتردعه ، وترعبه لأنها من نور الله العظيم ، الذى تفر منه الشياطين !!

أجل والله :

ولد « اليهودى المحارب » وشب واشتد فى ظل « العلمانية » الجاهلية (٢) ، والإلحاد والإباحية ، ودعاوى القومية والإشراكية ، والشيوعية ، والأنظمة العسكرية الاستبدادية !!

رابعاً : على من انتصر اليهود ولماذا ؟ !

تقرر إذاً أن « اليهودى المحارب » لم يولد فى أرضنا — ابتداء — إلا فى غيبة الإسلام عن ساحة الحكم والتوجيه والجهاد !!

بل ينبغى أن نتذكر جيداً أن اليهودى لم يغلب « المسلم الصحيح » قط فى لقاء صريح مكشوف حتى فى هذه الجولة

(١) راجع الفقرتين : (٤٤ ، ٦٦) من هذا الكتاب .

(٢) راجع كتابنا : « الغزو الفكرى . . » ص ٢٧ ، وكذلك فصل : « التربية الجديدة للطبقة البديلة » منه .

الأخيرة (١) .

وإنما تغلب اليهودى واستطال على هذه الأنظمة العفنة ،
والدعاوى الفاسدة ، والمذاهب الملحدة ، وقهر دعايتها وأتباعها وكان
ذلك أمراً بدهياً ، وحتماً مقضياً لأمر منها :

١ — لأن هذه الأنظمة والدعاوى أسست على « شفا جرف
هار » (٢) — كما قال القرآن — فانهار بها إلى ذل الدنيا ، ولعذاب
الآخرة أخزى وهم لا ينصرون !

٢ — ولأنها حين تركت دينها ومنهج ربها لم تتقن وسائل
دنياها كما فعل اليهود ، فكان « ميلاد اليهودى المحارب » هو أقرب
الأشياء إلى سنن الله فى الكون ، حيث ينتصر العلم المادى على
الجهل ، وحين يتفوق التخطيط والإعداد على الإهمال والارتجال
وطنطنة الأقوال !!

٧٨ — سبب الأسباب :

على أن هناك رأس الأسباب جميعاً ، وعلى أمتنا أن تعيه
جيداً . !!

إن هذه الأمة هى :

(١) راجع فى هذا كتاب « الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين » ، وكذلك شهادات
قادة الجيش المصرى فى فلسطين ، وجهاد الشعب الفلسطينى تحت راية الإسلام قبل أن
يتمكن الكفار من تحويل مساره إلى شتى الاتجاهات اليسارية ، والبعثية ، والشيوعية إلخ .

(٢) راجع معانى هذه الكلمات فى هامش الفقرة رقم (٤) من هذا الكتاب .

- الورثة لمنهاج النبوات جميعاً . . !
- والحفيظة على وحي الله تعالى لعباده . . !
- وحاملة الأمانة الدينية تطبيقاً وبلاغاً . . !
- ومن ثم فليس لها خيار قط في أداء هذه الأمانة ، وليس لها قط أن تختار غير منهج الإسلام ! !

فلما فعلت ذلك كانت مرتكبة لجناية مزدوجة النتائج :

- إذ ضيعت نفسها حين استبدلت الباطل بالحق المين ! !
- وضيعت البشر جميعاً من ورائها حين حجبت عنهم بلاغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، بسوء واقعها المزرى في كل جوانب الحياة !..

إن أمتنا أصبحت بذلك فتنة للذين كفروا . . !
 والتبس طريق الحق والوحي أمام الناس !
 وكانت هذه هي نفس جناية اليهود من قبل ، التي ارتدوا بها إلى أسفل سافلين تحت مراتب الحيوان والأنعام^(١) ! !
 وهي حقيقة صارمة تنطبق على كل من فعل فعلهم .

فالصراع الآن كأنه بين قطعان تتناطح ، وكلها « في خفة الطير وأحلام السباع^(٢) » ، يموج بعضها في بعض ! !

(١) راجع ما قلناه سابقاً في الفقرة رقم : ٦٢ .

(٢) هذا جزء من حديث طويل في وصف الفتن آخر الزمان رواه مسلم من حديث عروه ابن مسعود الثقفي عن النبي ﷺ . (الفتن — باب خروج الدجال . .) .

وهذا هو سبب الأسباب جميعاً لمن أراد أن يعقل سنن الله عز وجل !!

٧٩ — تأديب رهيب :

لقد أمضى الله جل وعلا سننه الصارمة ليؤدب القطيع الشارد عن طريقه الصحيح ، النابذ لكتابه ودينه ، المتلاعب برسالة وجوده ومصيره ، الخائن لأمانته وعهده وميثاقه العظيم !

ومن ثم كان « جبل من الله وجبل من الناس » في يد إخوان : « القردة والخنازير » اليوم ، ليؤدب القطيع الشارد بأخس أنواعه حتى يرعوى ، ويعود إلى حمل رسالته العظمى في الأرض ، ويقوم مرة أخرى بشراً كريماً يقود العالمين إلى خير الدنيا والآخرة !!

ولقد فعل الله تعالى مثل هذا تماماً مع « بنى إسرائيل » أنفسهم من قبل ، حين خانوا رسالة الوحي ، وفجروا في الأرض فسلط الله عليهم كفار المجوس وغيرهم ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً !!

وإن بنى إسرائيل اليوم لتذكرة حية ومريرة لأمتنا حتى لا يطول شرودها عن أمر ربها ، فيطول شتاتها مثلهم ، وتلبسهم الذلة والمسكنة كما لزمهم !!

ويا له من تأديب رهيب حين تكون عصاه في يد إخوان القردة والخنازير ، وأهل الذلة والمسكنة من بنى إسرائيل !!!

٨٠ — لا نصر إلا تحت راية القرآن :

وعلى أمتنا أن تعي هذه الحقيقة الهائلة :

وأن تدرك تماماً أن تفوق اليهود سيظل « مهمازاً » يغرس في لحوم الشاردين ، حتى يؤوبوا إلى القرآن العظيم شرعة ومنهاجاً ،
وحيثئذ يعود اليهودى — بإذن الله — إلى طبعه وحجمه ، ويعوذ
بمحسونه وجحوره ، ويرتد إلى كيان يجسد كل أوصاف القرآن له ،
ويبطل السحر والساحر ، وحتى يأتى — فى نهاية المطاف — وعد
الحق فلا ينفع اليهودى فى الأرض شئ ، ولا يجنه حصن ولا حجر ،
ولا يحميه سلاح ولا شجر مصداقاً لقول النبى ﷺ :

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود (فيقتلهم
المسلمون) حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول
الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودى خلفى
تعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود (١) » .

وهذا النداء العظيم :

« يامسلم ! »

« يا عبد الله ! »

هو محور القضية ، ويوم يستحق المقاتلون هذين الوصفين

(١) رواه مسلم بلفظه (فى الفتن) والبخارى بقريب منه (فى الجهاد — باب قتال اليهود)
كلاهما من حديث أبى هريرة ، ورواه الشيخان أيضاً من حديث عبد الله بن عمر ،
وكذلك الترمذى (فى الفتن) بالفاظ متقاربة جداً .

(راجع جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج ١٠ ص ٣٨١ ، ٣٨٢) .

فسيرون من عجائب قدرة الله تعالى ما يحقق هذه البشرى الآتية من وراء حجب الغيب ، وإنها لوعد الحق بإذن الله : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ (سورة الروم : ٤ - ٦) .

وليوقن دعاة الجاهلية أنهم لن يروا نصراً على اليهود ما داموا يصرون على ألقاب الضلالة ، ومناهج الإلحاد من قومية ، وعلمانية ، وشيوعية . . . إلخ .

إن هذا الركام كله هو نبت الشيطان ، وغرس الكفار ، وهم الذين يحبون نصر الله عن هذه الأمة ، ويمدون في حبال اليهود وحماتهم وكأنهم « الغرقد » شجر اليهود !!

وليوقن دعاة الإسلام أن معركتهم مع هؤلاء لا تقل ضراوة عن معركتهم ضد اليهود !!

وعليهم أن يتقوا الله تعالى ، وأن يلزموا العروة الوثقى ليكافئوا بمدد الله عز وجل قلة العدد والعدة ، وليغالبا بنصره جل شأنه كثرة العدو من داخلهم وخارجهم ، وآخرين من دونهم الله أعلم بهم :

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(سورة الحج : ٤٠) .

٨١ - يا جند القرآن :

فهذا قدركم ، وهذا دوركم . . !
وهذا هو كتاب ربكم ، وحديثه لكم .
وأنتم المرشحون للأمر العظيم .
والمتدربون للمعركة الضارية بين الحق والباطل .
أو بين « القرآن العظيم » ، و « التلمود الحقود » !
ولقد فتن الناس وخدعوا بمكر الشيطان !!
ولم يبق إلا أنتم يا جند القرآن .
ويا أصحاب سورة البقرة ، وآل عمران .
ويا وعاء التوبة ، والأنفال ، والصف ، والقتال . .
وإنها لكرامة الدنيا والآخرة .
فاقدروا ربكم حق قدره .
وأحسنوا التلقى عن كتابه العظيم .
وثقوا بوعده مولاكم العلي الأعلى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ
الْجَنَّةَ يَفَاقِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِيعْكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾
(سورة التوبة : ١١١) .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم : ٤٧) .

﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصفات : ١٧٣) .

صدق الله العظيم .
وبلغ رسوله الكريم .
ونحن على ذلك من الشاهدين .
اللهم اجعلنا من شهداء الحق .
القائمين بالقسط .
واسلكنا في حزبك المفلحين .
وجندك الغالبين .
وانصرنا على القوم الكافرين .
فإياك نعبد وإياك نستعين .
وسبحان ربك رب العزة عما يصفون .
وسلام على المرسلين .
والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو الله
عبد الستار فتح الله سعيد

* * *

المصادر والمراجع

(أ) كتب إسلامية

- ١ — القرآن الكريم .
- ٢ — الجامع لأحكام القرآن « للإمام القرطبي » دار القلم — القاهرة .
- ٣ — تفسير القرآن العظيم « للإمام ابن كثير » دار إحياء الكتب العربية — القاهرة .
- ٤ — فتح القدير « محمد بن علي الشوكاني » مطبعة مصطفى الحلبي — القاهرة .
- ٥ — الفتوحات الإلهية « سليمان بن عمر الشهير بالجمل » مطبعة عيسى الحلبي — القاهرة .
- ٦ — كلمات القرآن « تفسير وبيان » « حسين محمد مخلوف » دار الفكر .
- ٧ — في ظلال القرآن . . . « سيد قطب » — دار إحياء التراث العربي — بيروت .

٨ — جامع الأصول في أحاديث الرسول « ابن الأثير الجزري »
تحقيق . . . عبد القادر الأرناؤوط — مكتبة الحلواني
وشريكه .

٩ — السيرة النبوية « لابن هشام » تحقيق السقا وزميله — مطبعة
مصطفى الحلبي .

(ب) كتب عن اليهود^(١)

١٠ — « الكتاب المقدس » (العهدان : العتيق والجديد^(٢)) :
طبعة جمعية التوراة الأمريكية والإنجليزية (١٩٤٥ م) .

١١ — التلمود (تاريخه وتعاليمه) : ظفر الإسلام خان — الطبعة
الثانية — دار النفائس : بيروت .

١٢ — فضح التلمود . للأب آي . بي . برانائيس . ترجمة زهدى
الفتاح دار النفائس — بيروت (١٣٩٤ هـ) ط : الأولى .

١٣ — الكنز المرصود في قواعد التلمود . ترجمه عن
الفرنسية^(٣) الدكتور يوسف حنا نصر الله (ط : ٢ : بيروت
١٣٨٨ هـ) .

(١) مرتبة (هي وما بعدها) حسب ورودها في الموامش ما أمكن .
(٢) الأول مقدس عند اليهود ، وكلاهما مقدس عند النصارى . وقد أخذنا منهما ما يصور
النفسية اليهودية وأخلاقها الشريرة على قاعدتهم : « من فمك أدینک یا اسرائیل ! ! »
(٣) ألفه الدكتور « روهلتج » واسم الكتاب الأصل (اليهودى على حسب التلمود) انظر
مقدمة المترجم .

- ١٤ — همجية التعاليم الصهيونية . للأب بولس حنا مسعد .
منشورات المكتب الإسلامي (ط : ٢ بيروت ١٣٨٨ هـ) .
- ١٥ — الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام للدكتور : علي
عبد الواحد وافي — دار نهضة مصر — القاهرة .
- ١٦ — اليهودية والصهيونية — أحمد عبد الغفور عطار . دار
الأندلس — (ط : أولى — بيروت ١٣٩١ هـ) .
- ١٧ — أحجار على رقعة الشطرنج : « وليام غاي كار » ترجمة سعيد
جزائري . دار النفائس (ط — ٢ بيروت ١٩٧٦ م) .
- ١٨ — حكومة العالم الخفية « شيريت سبيريدوفيتش » — (ط :
٢ — ١٣٩٦) ترجمة : مأمون عيد . تقديم أحمد
عرموش . دار النفائس بيروت .
- ١٩ — بروتوكولات حكماء صهيون (الخطر اليهودي) ، ترجمة
محمد خليفة التونسي . (مؤسسة دار العلوم — الكويت :
١٩٧٧ م) .
- ٢٠ — اليهودي العالمي (المشكلة الأولى التي تواجه العالم) . وضعه
مجموعة من الخبراء بإشراف « المليونير » العالمي : « هنري
فورد » — تعريب : خيرى حماد (المكتب التجارى
للطباعة . . . بيروت ١٩٦٢ م) .
- ٢١ — مكايد يهودية عبر التاريخ : عبد الرحمن جنبكة الميداني .
(دار القلم : دمشق وبيروت) ط : ٢ — ١٣٩٨ .

٢٢ — كيف نفهم اليهود ؟ للدكتور حسين مؤنس — دار المعارف — القاهرة (سلسلة : كتابك ، رقم : ٥٠ — ١٩٧٨) .

٢٣ — الصهيونية والعنف : حسين الطنطاوى — مطابع دار الشعب — القاهرة .

٢٤ — إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة : أحمد عبد الوهاب مكتبة وهبة : القاهرة (ط : أولى — ١٩٧٢) .

٢٥ — مقارنة الأديان « اليهودية » للدكتور أحمد شلبى : مكتبة النهضة المصرية (ط : ٢ — ١٩٦٧) .

٢٦ — اليهود^(١) : إعداد زهدى الفاتح (ط : أولى : بيروت ١٣٩٢ هـ) .

٢٧ — اليهود فى القرآن : عفيف عبد الفتاح طيارة . (دار العلم للملايين — بيروت — ط : ٥ : ١٩٧٧ م .

٢٨ — من يحكم واشنطن وموسكو ؟ ترجمة زهدى الفاتح — (بيروت : ١٣٩٤ هـ) .

٢٩ — ملف إسرائيل (دراسة للصهيونية السياسية) — روجيه جارودى — دار الشروق — القاهرة ١٤٠٣ — ١٩٨٣ (ترجمة الدكتور مصطفى فوده) .

(١) مجموعة نقول من مصادر شتى تصور النفسية اليهودية تصويراً شاملاً بأقلام اليهود وغيرهم، وتصدق كل ماقره القرآن العظيم عن يهود من باب : ﴿سنزيهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ .

(ج) كتب متنوعة

٣٠ — أسرار الانقلاب العثماني : تأليف مصطفى طوران — ترجمه
عن اللغة التركية : كمال خوجة . (دار المختار الإسلامى —
القاهرة) .

٣١ — مذكرات السلطان عبد الحميد . (ترجمة محمد حرب عبد
الحميد) دار الأنصار — القاهرة .

٣٢ — الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام : د — عبد الستار
فتح الله سعيد الطبعة الثانية — (مكتبة المعارف —
الرياض : ١٣٩٩ هـ) .

٣٣ — الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين — كامل الشريف —
القاهرة ١٩٥١ م .

٣٤ — جهاد شعب فلسطين . (خلال نصف قرن) — صالح
مسعود أبو يصير (دار الفتح للطباعة . . . بيروت طبعة
ثالثة ١٣٨٩ هـ) .

٣٥ — طريق النصر فى معركة الثأر — اللواء الركن : محمود شيت
خطاب (دار الفتح للطباعة . . . بيروت طبعة أولى :
١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م) .

٣٦ — رجال ونساء أسلموا : عرفات العشى (الحلقة ١) دار
القلم — الكويت ، الطبعة الثالثة (١٣٩٨ هـ) .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
مقدمة الطبعة الثالثة	٧
مقدمة الطبعة الثانية	٩
مقدمة الطبعة الأولى	١٥
تمهيد	٢١
١ — نقطة البدء :	٢١
٢ — خطأ أو خطيئة :	٢٢
٣ — الخطر الإسلامى فى التاريخ المعاصر :	٢٢
٤ — الكيد العظيم :	٢٣
٥ — أوضاع مقلوبة :	٢٤
٦ — صراع عقيدة ودين :	٢٦
٧ — على أمتنا أن تختار .. !	٢٦
الباب الأول : اليهود معضلة التاريخ	٣١
٨ — المشكلة اليهودية :	٣٣
٩ — الحقدين :	٣٤
١٠ — معضلة عالمية :	٣٤

- ١١ — وأسفارهم شاهدة عليهم : ٣٥
- ١٢ — التلمود أدهى وأضل : ٣٧
- ١٣ — من ظلمات التلمود : ٣٩
- ١٤ — وبالمناسبة : (اليهود والتلمود أعدى أعداء النصرانية) ٤٢
- ١٥ — السامري وخلفاؤه : ٤٣
- ١٦ — اليهود هم التلمود : ٤٥
- ١٧ — أبناء إبليس : ٤٦
- ١٨ — الشخصية التلمودية : ٤٨
- ١٩ — اليهودى المعاصر نتاج التلمود : ٤٩
- ٢٠ — سر قرآنى معجز : ٥٠
- ٢١ — جرائم اليهود فى ضوء الأحداث والدراسات المعاصرة : ٥١
- أ — وثائق حكومة «بافاريا» ٥١
- ب — مقررات صهيون (البروتوكولات) : ٥٢
- ج — الدراسات العلمية المعاصرة : ٥٣
- ٢٢ — خلاصة الخطة اليهودية : ٥٥
- أ — خسة الغاية : ٥٥
- ب — دناءة الوسائل : ٥٥
- ٢٣ — مثال صارخ : ٥٦
- ٢٤ — القلعة الأخيرة : ٥٦

٥٩	الباب الثاني : المعركة في ضوء القرآن العظيم :
٦١	الفصل الأول : « أعداء الإيمان » :
٦١	٢٥ — الوحي الإلهي :
٦٢	٢٦ — الخطر القرآني :
٦٣	٢٧ — مخططات الهدم والتدمير :
٦٤	٢٨ — تفسير الألفاظ :
٦٦	٢٩ — القفزة الرهيبة :
٦٧	٣٠ — الرؤية الصحيحة :
٦٩	الفصل الثاني : « اليهود في ميزان القرآن » :
٧١	٣١ — قد جاءكم من الله نور :
٧٣	٣٢ — الخصائص العامة لموقف القرآن :
٧٣	أولاً : العدل الرباني
٧٦	ثانياً : الفيض القرآني
٧٧	ثالثاً : التوقيت المعجز
٧٨	٣٣ — سر قرآني عجيب :
٨١	٣٤ — موقف القرآن المكي من اليهود :
٨٤	٣٥ — أولاً : سبيل الإجمال
٩٠	٣٦ — ثانياً : سبيل التفصيل
٩٢	٣٧ — الخلل الرهيب :
٩٦	٣٨ — داء ولا شفاء :

٣٩ -	(أما بعد) :	١٠٤
٤٠ -	الموقف القرآني الشامل :	١٠٥
١١٣	الفصل الثالث : مفاتيح النفسية اليهودية	
٤١ -	المعنى والهدف :	١١٥
٤٢ -	المفتاح الأول : الإلحاد المطلق في العقائد	١١٦
٤٣ -	أصل الساء :	١١٩
٤٤ -	الثاني : قسوة القلوب إلى حد الهمجية	
١٢١	والوحشية	
٤٥ -	الثالث : احترام التزييف والتحريف والجدل	١٢٣
٤٦ -	الإسرائيليات :	١٢٦
٤٧ -	التنديد بالتلمود :	١٢٦
٤٨ -	رأس الأفعى :	١٢٩
٤٩ -	الجدل العقيم :	١٣٢
٥٠ -	سر قرآني عجيب :	١٣٣
٥١ -	الرابع : الغدر وتفض العهود	١٣٤
٥٢ -	الخامس : غاية الحقد والحسد	١٣٨
٥٣ -	السادس : الإفساد في الأرض	١٤٢
٥٤ -	السابع : الاستهانة بالأخلاق والحرمت	
١٤٨	والشرائع	
٥٥ -	تأصيل الدنس :	١٤٩

الموضوع	الصفحة
٥٦ — سبحانه هذا بهتان عظيم :	١٥٠
٥٧ — دروس من جلال القرآن العظيم :	١٥٤
٥٨ — نحن أولى بأنبيائهم منهم :	١٥٥
٥٩ — والسؤال هنا :	١٥٥
٦٠ — الثامن : الاستعلاء العنصرى	١٥٧
٦١ — سقوط الشعب المختار :	١٥٩
الشعب الملعون	١٦٠
٦٢ — اليهود بين الحيوانية والشیطانية :	١٦٣
٦٣ — أكذوبة العبرية اليهودية :	١٦٧
٦٤ — التاسع : ملازمة الذل والمسكنه	١٦٩
٦٥ — العاشر : تأصل الجبن والخضوع للقوة فقط	١٧٣
٦٦ — جبن فى كل الأجيال :	١٧٧
أولاً : فى عهد موسى عليه السلام	١٧٧
ثانياً : بعد موسى عليه السلام بعدة قرون	١٧٨
ثالثاً : فى صدر الإسلام	١٨٠
٦٧ — تخطيط وتصميم فى ضوء القرآن :	١٨٢
٦٨ — اليهود عبيد القوة :	١٨٤
٦٩ — الداء والدواء فى ضوء القرآن	١٨٥
٧٠ — المفتاح الحادى عشر : وحدة النفسى وتمائل	
النقائص	١٨٨
٧١ — والسؤال هنا :	١٩١

الموضوع	الصفحة
---------	--------

٧٢ - السبب في « تعميم الحكم على اليهود » :	١٩١
٧٣ - تشابهت قلوبهم :	١٩٢
٧٤ - بيان لأهل اليقين :	١٩٤
خاتمة :	١٩٥
٧٥ - سؤالان خطيران :	١٩٧
٧٦ - نداء إلى علماء الإسلام :	١٩٩
٧٧ - السؤال الثاني :	٢٠١
أولاً : من الذين وعدهم القرآن العظيم بالنصر	
على اليهود ؟	٢٠٢
ثانياً : من الذى تغير ؟	٢٠٤
ثالثاً : ميلاد اليهود المعريد في غيبة الإسلام	٢٠٥
رابعاً : على من انتصر اليهود ؟ ولماذا ؟	٢٠٦
٧٨ - سبب الأسباب :	٢٠٧
٧٩ - تأديب رهيب :	٢٠٩
٨٠ - لا نصر إلا تحت راية القرآن :	٢١٠
٨١ - يا جند القرآن :	٢١٢
المصادر والمراجع :	٢١٥
فهرس الموضوعات :	٢٢١

تم بفضل الله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم
 بإحسان إلى يوم الدين ...

تصويبات للأخطاء الواردة بالكتاب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣ ✓	٦	لأرجوا	لأرجو
١٩ ✓	١٠	المعرفة الشاملة	المعرفة الشاملة
١٩ ✓	١١	غايته	غايها
١٩ ✓	١٧	المائدة (.	المائدة (: ١٥ ، ١٦
٢٧ ✓	١٣	آيات	آيات
٣٨ ✓	٤ من أسفل	(٢) ثم	(٢) تَمَّ
٣٩ ✓	٢ من أسفل	طبع مرة	طبع لأول مرة
٤٣ ✓	١١	والحق لا يمكن	والحق أنه لا يمكن
٩٦ ✓	١٤	في قضاء	في قصّ
٢٢٦ ✓	١٤	ثالثا : ميلاد اليهود	ثالثا : ميلاد اليهودى

